الفصل الأول

الجيش عنصر من عناصر

الحضارة الإسلامية

obeikandl.com

كيف كان الجيش عنصراً أو مقوماً من مقومات الحضارة الإسلامية مثله مثل ما قدمنا من مقومات وعناصر ؟ ! ، مما لا شك فيه أن الجيش يعد أحد المقومات ذات الطبيعة الخاصة ، الطبيعة التي تبدو في الظاهر أنها تناقض القيم والمبادئ والمثل ، ولكنها في الواقع تدعم تلك القيم والمبادئ والمثل ، وخصوصاً إذا كان الواقع يقدس القوة ويحترم من يتحلى بها ، في هذا الفصل نناقش فكرة كون الجيش عنصراً من عناصر الحضارة الإسلامية وذلك من خلال المبحثين التاليين :

المبحث الأول : الطرح الإسلامي في شرعية تأسيس الجيش .

المبحث الثاني : الجيش عنصر من عناصر الحضارة الإسلامية .

obeikandl.com

المبحث الأول

الطرح الإسلامي في شرعية تأسيس الجيش

في هذه الجزئية نتناول الطرح الإسلامي المتعلق بشرعية تأسيس الجيش ، فالجيش جزء من المجتمع أوكلت إليه مهام محددة مثله في ذلك مثل أي جهاز داخل الدولة ، والجيش في الدولة الإسلامية ليس ابتكاراً إخترعه النظام السياسي ، بل هو كيان ظهر وتأسس بناءً علي أوامر وتوجيهات شرعية ، نظراً لما لهذا الكيان من مهمة في تحقيق غايات ومقاصد تتعلق بالدين الحنيف ، من حيث تثبيته وتقوية أركانه ، ونشره في كافة الأرجاء ، والتفصيل من خلال الآتي :

أولاً : الجيش يمثل رمز القوة والعنف وأداة إدارة الصراع العضوي في الحضارة :

يشهد التاريخ الإنساني علي أن الحضارة ليست قيماً ومبادئ ومثلاً فقط ، ولكنها تحوى كذلك إلي جانب الفضائل رموز القوة والعنف ، ولا يعنى ذلك الجانب غير الأخلاقي للقوة والعنف ، فلهذين المدركين وجهها المقبول والمطلوب ، كما لهما وجههما المخيف المرهوب ، وتحتاج الحضارة الإنسانية لهذين الوجهين معاً للقوة والعنف ، والجيش هو رمز القوة والعنف وهو في ذات الوقت أداة لإدارة الصراع العضوي في الحضارة ، وتوضيح ذلك من خلال ما يلي :

❖ **الجيش يمثل رمز القوة والعنف :**

الجيش في العربية يعنى شدة الحركة ودفق النشاط والحيوية ، وفي الاصطلاح يعنى الأفراد الذين أعدوا وهُيّئوا للقيام بأعمال معينة ، تنتهي دائماً بالصراع العضوي مع طرف مقابل ، وعرفت العربية ألفاظاً أخرى تؤدي نفس المعنى مثل الجحفل والخميس ، ولم ترد لفظة

الجيش في القرآن الكريم علي الإطلاق ، وورد في معناها الجند والجنود والجمع ، ومجازاً استعملت القوة لتدل علي الجيش .

والجيش يرمز إلي القوة والعنف والصراع . وتبدو تلك الرمزية في طبيعة الأعمال التي يقوم بها أفراده ، وفي الوسائل والأدوات المستخدمة ، ثم في هدف تلك الأعمال وغايتها ، وسيتضح ذلك مما يلي :

– طبيعة الأعمال التي يقوم بها الجيش : فالجيش يؤدي أعمالاً عنيفة في التدريب والاستعداد ، ثم بعد ذلك يقوم بممارسات الصراع العضوي بشكل شرعي ورسمي .

– الوسائل والأدوات التي يستخدمها الجيش : فهو يستخدم الوسائل والأدوات العنيفة والقوية والقاهرة ، في الترتيب ، ثم في الهجوم والدفاع ، وفي السيطرة علي الخصم وقهره .

– الأهداف التي يسعى إليها : فالجيش يهدف من خلال إدارة الصراع العضوي إلي قهر إرادة الخصم ، وإجباره علي تنفيذ رغبات ومطالب محددة هي هدف الصراع .

❖ **الجيش أداة إدارة الصراع العضوي :**

الجيش بمواصفاته السابقة طبيعة ووسيلة وهدفاً يمثل أداة إدارة الصراع العضوي ، فالوجه الخارجي للحضارة له جانبان : جانب قيمي قائم علي الفضائل والمثل والمبادئ ، وجانب آخر قائم علي العنف والقوة ، الأول يدار بوسائل السلم والحوار والتفاعل والوئام ، والثاني يدار بوسائل العنف والصراع العضوي ، الذي ينتهي بغلبة وسيطرة طرف علي آخر ، والجيش هو أداة إدارة الصراع العضوي .

والحضارات تتدرج في علاقاتها الخارجية من الوئام والتفاعل والحوار إلي العنف والصراع العضوي ، ويعد الجيش هو أداة ذلك الصراع ، ولا يضير الحضارة أو يسيء إليها تملك الجيش رمز القوة والعنف ، ولكن يشينها استخدام القوة في غير موضعها ، أي في البغي والعدوان ، كما لا يُؤخذ علي الحضارة استعدادها وجاهزيتها لإدارة الصراع العضوي ، ولكن تؤاخذ علي تطاولها علي الآخرين وإثارة الفوضى والاضطراب .

ثانياً : شرعية تأسيس الجيش في الإسلام :

الجيش هو جانب القوة المادية في الحضارة ، ورمز القوة والعنف ، وأداة إدارة الصراع العضوي ، فمن أين يستمد الجيش بوصفه المذكور شرعية وجوده ؟ يبين الشرع الإسلامي أن للجيش مهاماً تتطلب بل وتفرض وجوده فرضاً ، وهذه المهام حددتها مصادر الطرح الإسلامي المحددة في الشريعة الإسلامية ونماذج الممارسة في دولة الرسول والخلفاء الراشدين في خمسة مهام نتناولها في الآتي :

❖ **الردع والتخويف :**

الردع لغة هو الكف والمنع . واصطلاحاً يعني الكف والامتناع عن الاعتداء خوفاً من عاقبة الرد التي ستكون في نتائجها أقوى وأبلغ أثراً ، ويحتاج الردع إلي قوة مادية ملموسة ، ممثلة في الأفراد والعدد والعتاد ، وقوة معنوية محسوسة ، ممثلة في الشجاعة والإقدام والجلد والمثابرة والصبر والمهارة والحنكة في القتال .

ولفظة الجيش لم ترد في القرآن الكريم ، ووردت بدلاً منها ولكن بنفس معناها لفظتان هما: الجند أو الجنود والجمع ، قال تعالى ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ

بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾[3] ، وقال تعالى ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[4] ، وقال تعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[5] ، وقال تعالى ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[6] ، وقال تعالى ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[7] ، وقال تعالى ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾[8] ، وقال تعالى ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[9] ، وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا

---

[1] سورة البقرة : ٢٤٩ و ٢٥٠ .
[2] سورة يونس : ٩٠ .
[3] سورة مريم : ٧٥ .
[4] سورة طه : ٧٨ .
[5] سورة النمل : ١٧ و ١٨ .
[6] سورة النمل : ٣٧ .
[7] سورة القصص : ٦ .
[8] سورة القصص : ٨ .
[9] سورة القصص : ٣٩ و ٤٠ .

وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾[3] ، وقال تعالى ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴾[4] ، وقال تعالى ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾[5] ، وقال تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ ﴾[6] ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[7] ، وقال تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[8] ، وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[9] ، وقال تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[10] ، وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾[11] ، وقال تعالى ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[12] .

كذلك جاءت لفظة القوة لتعبر مجازاً عن الجيش ، قال تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[13] ، وقد عبرت

---

[1] . سورة الأحزاب : ٩ .
[2] . سورة الصافات : ١٧٣ .
[3] . سورة ص : ١١ .
[4] . سورة الدخان : ٢٤ .
[5] . سورة الذاريات : ٤٠ .
[6] . سورة البروج : ١٧ و ١٨ .
[7] . سورة آل عمران : ١٥٥ .
[8] . سورة آل عمران : ١٦٦ .
[9] . سورة آل عمران : ١٧٣ .
[10] . سورة الأنفال : ٤١ .
[11] . سورة الشعراء : ٦١ .
[12] . سورة القمر : ٤٥ .
[13] . سورة الأنفال : ٦٠ .

هذه الآية الكريمة أبلغ تعبير عن أهمية الجيش ، وقيمة ما يحتكم عليه من قوة مادية بكافة صورها ، ومعنوية بجميع ضروبها ، فعلّة إعداد قدر ما في الوسع من قوة هي إرهاب العدو ، وقد جاءت لفظة قوة في هذه الآية نكرة ، لتفيد جميع أنواع القوة المادية والمعنوية ، والبادية والخفية، والحاضرة والغائبة ، والإرهاب في هذه الآية يعني تخويف العدو وإرعابه ، حتى يكف ويمتنع ويتراجع عن الاعتداء والتعدي ، لعلمه بعاقبة ذلك .

وللردع جانبان : جانب مادي ملموس ، يتمثل في تلمس القوة المادية والمعنوية ورؤيتها رأي العين ، وجانب معنوي محسوس يترتب علي الجانب المادي ، حيث يستشعر أحد الخصمين قوة خصمه ، فيصيبه الرعب ، وتأخذه الرهبة ، ويقلع عن التفكير في الاعتداء أو المبادأة بالحرب .

واستخدمت فكرة الردع الواردة في هذه الآية بشكل جيد ، حيث صيغت نظرية الردع النووي في العلاقات الدولية المعاصرة ، القائمة علي توازن دقيق للقوة النووية بين الدولتين الأعظم ، كان من شأنه أن يردع أياً من القوتين عن الاعتداء علي الأخرى أو مبادأتها بالعدوان .

والسؤال الذي يعنّ لنا في هذا الموضع يدور حول ما إذا كان الاستعداد بالقوة وتجهيز الجيش ينبغي أن يكون بشكل مستديم ، ويمثل وضعاً دائماً وهو ما يعرف " بالجاهزية " أم أنه لا يتم إلا عند نشوب الحرب أو الاستعداد لها ؟ .

إن الاستعداد بالقوة وتجهيز الجيوش أمر ضروري وواجب ، وبصفة خاصة في عالم اليوم الذي لم يعد يحترم إلا القوة ولا يوقر إلا القوى ، والإسلام ينبغي أن يكون محترماً وموقراً ، ومن ثم لزم الاستعداد الدائم ، والتقوّى المستمر ، حتى يَرهبنا الأعداء ومن دونهم ، ولا يفكرون في الاعتداء علينا أو التعدي علي حرماتنا ، ولعل صيغة الأمر في صدر الآية ذات دلالة في هذا السياق " وأعدوا " .

وقد يرد علي ما قدمنا تحفظاً من عدة وجوه : فقد يقول قائل بأن الاستعداد الدائم وتجهيز الجيوش يعنى أن المسلمين ميالون إلي العنف والاستقراء علي غيرهم ، جل همهم الحرب والاستعداد لها ، وعلي هذا القائل نرد بأننا نستعد بامتلاك القوة ، ليس للاعتداء ، ولكن لمنع الاعتداء ، فقوتنا لا تغري أحداً بالاعتداء علينا ، أما نحن فلسنا قوم عدوان أو تعدى ، وتملك القوة لا يعنى الحمق في استعمالها .

وقد يرى آخر بأن الاستعداد والاحتكام علي القوة يدفع بنا في سبيل سباق التسلح ، مما يستنزف الجهد والوقت والمال ، ويؤثر علي خطط وسياسات الإنماء ، ويبدد ثروات ومقدرات الشعوب ، وعلي هذا الرأي نجيب بأن الجيش والاستعداد هو جزء من الإنماء ، لأن حماية مكتسبات الشعوب ، وما حققته من إنجازات ، لا يقل أهمية عن الإنماء ، وقد نختم هذا الرد بسؤال ، ما حالنا إذا أفلحنا في إنماء مجتمعاتنا وحققنا الإنجازات ولم يقدّر لنا الدفاع عن ذلك النماء وحماية تلك المكتسبات ، ثم كيف نصون مقدراتنا من الحضارة والثقافة والقيم والمبادئ ؟ إن ذلك لا يتأتى إلا بامتلاك القوة ، وسوف يتضح هذا الأمر أكثر بعد قليل .

سؤال آخر قد يطرح نفسه في هذا السياق مفاده : لمن توجه القوة والاستعداد ، وهنا نلجأ إلي نص الآية فهو واضح صريح ، حيث تصرح بأن القوة والاستعداد توجه إلي كل من يناصبنا العداء صريحاً كان أم مستتراً ، فالعدو السافر الذي نعلمه هو هدف القوة والاستعداد ، والعدو المضمر الذي لا يعلمه إلا الله سيكون كذلك هدف هذه القوة حال بروزه من ستره ومحاولته الاعتداء علينا . إلا أن لهذا السؤال شقاً آخر ، يتعلق بتخصيص من توجه إليهم القوة لتخويفهم وإرهابهم ، هل توجه للجيوش العاملة المعلومة ، أم توجه إلي الجيوش وشعوبها معاً ، وهنا يجب التأكيد علي أن هناك حقيقة لا مراء فيها ، هي أن الإسلام دين الحكمة والرشد والسماحة والعدل ، ويتضح ذلك في رده علي هذا السؤال

. فالآية الكريمة السابقة تشير إلي أن المستهدف من إعداد القوة وتجهيز الجيش هم الأعداء الذين نعلمهم ، وعدو الجيش هو الجيش المقابل ، فهذان هما الخصمان المتصارعان . أما إذا دخل الشعب إلي حلبة الصراع ، فقد أنضم إلي زمرة الأعداء ، وأصبح معنياً بإعداد القوة ، ووجبت محاربته ، في حين أنه لو لم يدخل الشعب ومن ثم المجتمع إلي حلبة الصراع ، وظل بعيداً ، كانت له حرمته ، ولا يحل ترويعه أو الاعتداء عليه. فالشعب الذي يقف وراء الجيش المعادي أو أي أقوام آخرين هم من " الآخرين الذين لا نعلمهم ولكن الله يعلمهم " ، فلا ينبغي أن نقصدهم بالقتال بل بالإرهاب والتخويف ، أما القتال فخص به الجيش المواجه فقط . أما إذا تحول هؤلاء إلي مناصبتنا العداء، فقد تحولوا من " الآخرين الذين لا نعلمهم ولكن الله يعلمهم " إلي " أعداء الله وأعدائنا " ووجب قتالهم لأنهم باتوا يكاشفوننا العداء .[1]

❖ المكنة والمهابة :

يتمم ما تقدم أن الجيش رمز المكنة ومثير المهابة . يبعث في نفوس أربابه الأمن والطمأنينة ، ويثير في نفوس الأعداء الرهبة والرعب ، ومن ثم كان الاهتمام بالجيوش منذ القدم ، لما لها من آثار في قرور أقوام وإقلاق آخرين ، والقرآن الكريم أوضح الأهمية التي تعوّل علي مكنة الجيش ومهابته علي أصحابه وأعدائه .

قال تعالى ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[2] . في هذه الآية الكريمة يبين الحق تبارك وتعالى كم كان العرب يعوّلون علي

---

[1] . سوف نولي ذلك مزيداً من التفصيل والتدقيق في المجلد التاسع . الحرب في الإسلام ، الجزء الأول : أصول الحرب في الإسلام .

[2] . سورة آل عمران : ١٣ .

الكثرة في عدد الجيوش ويعدونها سبباً ووسيلة للظفر والغلبة . إلا أن الأمر قد اختلف مع المسلمين ، فلم تفد كثرة جيش الكفار ، بالرغم من أن المسلمين كانوا يرونه ضعف عددهم .

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾[1] ، وفي هذه الآية الكريمة حض من الله تعالى علي الاندفاع إلي القتال في حمية ومضاء ، والأمر في " انفروا" يفيد استحضار القوة وعدم التردد والاندفاع دون تفكير ، ثم حدد سبحانه شكل الاستنفار للقوات المحاربة المجهزة للقتال في جماعات أو فرق أو في جمع مؤتلف عظيم ، علي أن يأخذ المؤمنون في كلتا الحالتين حذرهم ، ويتوخون الحيطة . وهذا فن من فنون القتال وأحد مستلزماته ينبغي أن يتقنه القادة والجنود .

وقال تعالى ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[2] ، كذلك تبين هذه الآية الكريمة أشكالاً أخرى من أشكال النُفرة ، تتراوح بين الخفة والثقل ، حيث يجمع الجيش بين المشاة الرجال والركبان ، والشبان حديثي السن والشيوخ المسنين ، والفقراء والأغنياء ، فالجميع في الجهاد سواء .

وقال تعالى ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾[3] ، تنبه هذه الآية الكريمة إلي مسألة مهمة في تجهيز الجيوش والاستعداد للقتال ثم إدارة المعارك ، وهو عدم الاغترار بالكثرة التي تُلهي وتُنسي قدرة الله ومشيئته ، ففي معركة حنين التي وقعت في السنة الثامنة من الهجرة، كان عدد المسلمين اثني عشر ألف رجل ، وهو عدد

---

[1] . سورة النساء : ٧١ .
[2] . سورة التوبة : ٤١ .
[3] . سورة التوبة : ٢٥ .

لم يكن قد بلغه جيش للمسلمين قبل ذلك، وعوّل المسلمون علي كثرتهم ، ولكنها لم تجد ، إذ أنستهم أن النصر من عند الله، فأذاقهم الله في أول المعركة مرارة الهزيمة والانكسار ، للتذكر والثوب إلي الله والتوكل عليه ورجاء العون والمدد ، والحاصل أن الكثرة في الجيش كانت مطلوبة ، ولكنها لا ينبغي أن تُلهى عن التوكل علي الله ، فكم هي ماضية نافذة الكثرة المقرونة بتقوى الله والتوكل عليه ! .

وقال تعالى ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] ، وتوضح هذه الآية الكريمة كذلك كم كانت الجيوش منذ القدم تعتد بالقوة ، وتعوّل علي النجدة والبلاء في الحرب ، فقد كان رد مستشاري بلقيس ملكة سبأ عندما عرضت عليهم أمر سليمان ، بأنهم يملكون القوة والمكنة والهيبة والاستعداد للكر والفر ، ولن يتورعوا إذا اتخذت قرارها بحرب سليمان، ولكن كان للملكة رأي آخر لا يخلو من دهاء ومكر النساء !! .

وقال تعالى﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[2] ، تبين هذه الآية الكريمة أن الكلمة الأخيرة كانت للقوة ، فلم تفد الحيلة التي لجأت إليها بلقيس في إغراء نبي الله سليمان ، وعزم الرسول الكريم علي المضي إلي قوم سبأ بقواته الهائلة ، التي لم يكن لجيش بلقيس قدرة علي مواجهتها ، وهكذا كانت القوة المسخرة في طاعة الله ، حيث رأي سليمان عرش بلقيس مستقراً عنده قبل أن يرتد إليه طرفه !! .

❖ تأمين المجتمع داخلياً وإقرار هيبة الدولة :

للجيش دوره كذلك في تأمين المجتمع داخلياً وإقرار هيبة الدولة ، وبالرغم من أن ذلك الدور يجب حصره في أضيق الحدود ، وتوجيه جل اهتمام الجيش إلي مهمته الأساسية في

---

[1] . سورة النمل : ٣٢ و ٣٣ .
[2] . سورة النمل : ٣٧ .

الدفاع ضد أي عدوان خارجي ، إلا أن الجيش يمثل في النهاية خط الدفاع الأخير ، أمام عوامل عدم الاستقرار الداخلي .

وتعتمد الدول قديماً وحديثاً علي قوات خاصة للأمن الداخلي والشرطة ، وهي قوات ذات طبيعة تنظيمية تنفيذية ، تنصرف إلي تنظيم الأمور الإدارية ، وتأمين المرافق ، وتنفيذ أحكام القضاء ، وحفظ الأمن في ربوع الدولة . إلا أنه قد يحدث أن تخرج بعض شرائح أو فئات أو طوائف المجتمع علي النظام العام ، وتشق عصا الطاعة ، وتخالف الجماعة ، ويكون ذلك الخروج أكبر من إمكانات قوات الأمن الداخلي والشرطة ، وفي هذه الحالات يُستدعى الجيش، ليتولى مهمة السيطرة علي الأوضاع وإقرار الأمن .

واستدعاء الجيش لا يتم إلا إذا تفاقمت الأوضاع بشكل يعرض أمن المجتمع للخطر ، وينذر بوقوع فتنة تعصف بحياة الناس ، ويقرر هذا الاستدعاء ولي الأمر بعد مشاورة مجلس الشورى أو الجهات الاستشارية ذات الاختصاص ، ولا ينبغي أن يكون استدعاء الجيش لإقرار الأمن الداخلي أمراً مألوفاً أو معتاداً أو متكرراً .

ولعله من أسوأ الظواهر في الحياة السياسية المعاصرة ، تدخل الجيوش في الحياة السياسية ، حيث يوالى الجيش بعض القوى أو الرموز السياسية ، ويتدخل لصالحها ، فتحدث الانقلابات والانقلابات المضادة ، وتسود الفوضى وعدم الاستقرار حياة المجتمع ، ولذلك لا ينبغي للجيش التدخل في الحياة السياسية تحت أي ظرف من الظروف ، إلا إذا وقع ما يعرّض حياة وأمن المجتمع للخطر علي أن يكون التدخل محايداً ويستهدف إقرار الأمن .

ويعتبر استدعاء الجيش لمواجهة حركات التخريب والإرهاب ، التي تعجز أجهزة الأمن الداخلي عن مواجهتها أمراً ضرورياً وواجباً ، إلا أن الجيش ينبغي أن يغادر قافلاً إلي

مواقعه بانتهاء مهمته ، وينطبق ما تقدم علي حركات التحرر والانفصال التي قد تنتاب بعض أقاليم الدولة.[1]

❖ الدفاع ورد العدوان :

تتمثل المهمة الأساسية للجيش في الدولة الإسلامية في الدفاع ورد العدوان ، ويثار في هذا الصدد سؤال احتدم حوله الجدل منذ زمن طويل ، وهو يتعلق بالجيش تفريعاً وبالحرب رئيساً، مفاد هذا السؤال : هل الجيش الإسلامي يدخل في الحرب للدفاع ورد العدوان فقط، أم له أن يشن الحرب تحت دعوى الدعوة إلي الدين ونشر الإسلام ، وسنحيل في مناقشة هذه المسألة إلي موضع ذي تخصص .[2]

❖ الدفاع عن المسلمين :

من أهداف تأسيس الجيش في الدولة الإسلامية الدفاع عن المسلمين ، وهذا يتفق مع القاعدة الشرعية الخاصة بحق المسلم علي المسلم ، فمن أهم أشكال ذلك الحق هو الدفاع وكف الأذى ، إلا أن مطلب قيام الجيش المسلم بالدفاع عن المسلمين يثير إشكالية معاصرة لابد من مواجهتها وتقديم الطرح الإسلامي بخصوصها ، وهذه الإشكالية تتفرع إلي عدة أسئلة يمكن تناولها فيما يلي :

– هل جيش كل دولة إسلامية هو جيش لكل المسلمين ؟ :

الجزء الأول من الإشكالية المتعلقة بدور الجيش المسلم في الدفاع عن المسلمين يكمن في هذا التساؤل ، وهذا التساؤل يثير معضلة أخرى ، تتعلق بوضعية الدول الإسلامية في الوقت الراهن ، حيث أن هذه الدول بمثابة دول متعددة مستقلة وذات سيادة وليست دولة واحدة ، وكل دولة تملك جيشاً مستقلاً خاصاً بها ، يقوم بمهامه إزاءها ، ولا ينبغي له أن

---

[1] . يمكن الرجوع إلي موسوعة الدرر الزاهرة في الأصالة المعاصرة ، المجلد التاسع : الحرب في الإسلام ، الجزء الأول ، أصول الحرب في الإسلام ، الفصلين الرابع والخامس .

[2] . المرجع السابق ، الجزء الأول ، أصول الحرب في الإسلام ، الباب الأول .

يتجاوز تلك المهام أو يتجاوز حدود الدولة ، إلا بموجب معاهدات ومواثيق خاصة تبرر القيام بذلك .

إذن فقد نشأ عن قيام دول إسلامية مستقلة تأسيس جيوش مستقلة ، وأصبح لكل دولة جيش يدافع عن إقليمها ، ولن يتمكن ذلك الجيش من تجاوز حدود دولته إلي دولة إسلامية أخرى إلا بإذن من الدولتين معاً ، ولو قلنا أن ذلك يخالف الإسلام ، لا ستتبع ما نقول ، أن نطعن في خاصيتى الاستقلال والسيادة التي تتمتع بها كل دولة إسلامية في الوقت الراهن ، ولانتهينا إلي إقرار قاعدة تقضى بضرورة إزالة هاتين الخاصيتين إزاء الرابطة الإسلامية ، التي ينبغي أن تتجاوز الحدود وتحطم الحواجز ، وهذا الطرح قد يصطدم بالواقع ويثير العديد من المشاكل، وربما القلاقل ، ومن ثم فالأقرب إلي التعامل مع الواقع دون تأليب الكوامن ، وتحقيق الحدود الدنيا من الرابطة الإسلامية ، يكمن في إبرام اتفاقيات بين الدول الإسلامية ، بموجبها يمكن لجيوش تلك الدول التعاون فيما بينها .

– إذا وقع اعتداء علي دولة إسلامية هل يجب علي كل الدول مناصرتها :

الجزء الثاني من الإشكالية يبرز في حالة وقوع عدوان علي دولة إسلامية ، هل يجب علي جيوش الدول الإسلامية الأخرى التدخل للدفاع عنها ؟ ، الأصل وفق الشرع أن تهب كافة الدول الإسلامية للدفاع عن الدولة الإسلامية ، ولكن الواقع الراهن المتمثل في انقسام الدول الإسلامية يجعل وضع هذا الأصل موضع التطبيق أمراً لا يخلو من صعوبة ، وعليه فعلاج هذه الإشكالية الفرعية يكمن في إجرائين :

- الأول : أن تطلب الدولة الإسلامية التي وقع عليها العدوان مؤازرة الدول الإسلامية الأخرى .

• الثاني : أن يكون هناك اتفاق مسبق يقضى بالمساندة في حالة وقوع عدوان علي أي من أطراف الاتفاق .

– إذا وقع اعتداء علي المسلمين في دولة إسلامية [أقليات إسلامية] :

الجزء الثالث من الإشكالية محور التحليل تثار عندما يتعرض المسلمون المقيمون في دول غير إسلامية لاعتداءات أو تجاوزات من سلطات الدولة التي يقيمون فيها أو من دولة أخرى ؟ فالواقع يشهد تناثر أقليات إسلامية في دول العالم المختلفة ، تتباين أعدادها من دولة إلي أخرى، وهذه الأقليات لا تسلم في بعض الأحيان من الاعتداءات أو التجاوزات من قبل سلطات الدولة التي يعيشون فيها ، أو من قبل دول أخرى ، وإزاء ذلك يعن السؤال : ما هو موقف الدول الإسلامية إزاء هاتين الوضعيتين ، هل تحرك جيوشها للدفاع عن تلك الأقليات وكف الأذى عنها ، أم تلجأ إلي وسائل أخرى ؟ .

حقيقة الأمر أن عالم اليوم يعج بالتطورات والأوضاع والمستجدات الدقيقة والمتداخلة ، ومن شأن أي تصرف غير حكيم أو موقف غير رشيد ، أن يثير المتاعب ، ويجلب علي المسلمين الكثير من التداعيات التي تعوق حركتهم ، وتحد من مقاصدهم وغاياتهم ، وتسئ إليهم في ذلك الواقع المعقد ، ومن ثم فينبغي توخى الحكمة واستصحاب الحذر في كل موقف أو تصرف في عالم اليوم ، وانطلاقاً من ذلك فهذه الإشكالية المتفرعة من أختها الكبرى ، تحتاج إلي معالجة تتدرج في منطلقات متتابعة :

• إن التدخل الانفرادي التلقائي دون مشاورة المعنيين بهذه المسألة وترتيب المعالجات مع اكبر عدد من الدول الإسلامية قد يؤوّل وينبغي ذلك وفق مبادئ القانون الدولي علي أنه تدخل في شئون دولة مستقلة وذات سيادة ، علي اعتبار أن وضع الأقليات الإسلامية في الدول التي يتواجدون فيها هو من قبيل الشئون الداخلية ، وهنا يؤدي ذلك التدخل إلي

إثارة الفتن والقلاقل في النظام الدولي ، ويسئ كذلك إلي الإسلام والمسلمين ، وينعتهم بالهمجية وعدم استيعاب السلوكات الحضارية والتعايش مع المجتمع المتمدّن ! .

• إن الرغبة في اتخاذ الموقف ثم السلوك الرشيد المناسب ، تتطلب البحث في الوضعيتين اللتين تكتنفهما هذه المسألة :

○ الوضعية الأولى : إذا وقع الاعتداء من سلطات الدولة التي تعيش الأقلية المسلمة علي إقليمها ، وهذه الوضعية ستفترض مباشرة قيام خصومة بين الدول الإسلامية وسلطات تلك الدولة ، وهنا لا يحسم الأمر إلا بالتفاوض والاتفاق في شأن هذه المسألة مع سلطات تلك الدولة ، ويتطلب الأمر الإلحاح في ذلك حتى يتم حل المسألة ، وإذا استعصت المسألة علي الحل فينبغي توسيط أطراف أخرى ، والإسراع منذ البداية إلي تقديم العون والمساعدة لتلك الأقليات بطرق غير عسكرية .

○ الوضعية الثانية : إذا وقع الاعتداء من دولة غير الدولة التي تعيش الأقلية المسلمة علي أراضيها ، وهنا أيضاً يجب التفرقة بين حالتين :

□ الحالة الأولى : إذا وقع هذا الاعتداء في سياق صراع بين الدولة المضيفة للأقلية ، ودولة أخرى وجب مباشرة مساندة الدولة المضيفة ، ما لم يكن بين الدولة المعتدية والدول الإسلامية اتفاق أو معاهدة ، وإذا وُجدت الاتفاقية أو المعاهدة كانت مدخلاً للتوسط لدى تلك الدولة لفض النزاع .

□ الحالة الثانية : إذا وقع الاعتداء علي الأقلية المسلمة من دولة أخرى ، وقد سمحت به أو تغاضت عنه الدولة المضيفة ، فينبغي السعي لدى الدولتين لإيقاف الاعتداء بكافة السبل السياسية والعسكرية .

– حالة الحروب الأهلية وحركات التمرد والعصيان :[1] [إحالة]

الجزء الرابع من الإشكالية المتعلقة بقيام الجيش المسلم بالدفاع عن المسلمين ، وهي خاصة بالدول التي تعيش علي أرضها أقلية مسلمة ، وتعانى من حرب أهلية ، أو أن الأقلية المسلمة تعلن حالة التمرد والعصيان وتطالب بالاستقلال عن كيان الدولة ، وتتضمن هذه الجزئية من الإشكالية عدة أوضاع : الأول : أن تكون هناك حرب أهلية وتنخرط فيها الأقلية المسلمة ، الثاني : أن تكون هناك حرب أهلية ويُخشى علي الأقلية المسلمة أن تضار من تلك الحرب أو تنجرف إليها ، الثالث : أن تعلن الأقلية المسلمة حالة التمرد والعصيان وتطالب بالاستقلال والانفصال عن كيان الدولة ، ولكل وضع من هذه الأوضاع أحكامه الشرعية والسلوكات المترتبة علي ذلك ، وهذا ما سنتناوله في الموضع المحال إليه .

❖ نصرة غير المسلمين :

السبب الأخير من الأسباب التي تنتصب عليها شرعية تأسيس الجيش في الإسلام يتمثل في نصرة غير المسلمين ، وهذا السبب علي قدر يعتد به من الأهمية ، والمنتهى إليه أنه يجوز للجيش المسلم أن ينصر غير المسلمين ويعينهم علي عدوهم وذلك في الحالات التالية :

– إذا كان هناك اتفاق مسبق بين الدولة طالبة العون والدولة الإسلامية ، يقضي بالنصرة والمساندة في الحرب ، وهو ما يعرف باتفاقيات الدفاع المشترك .

– إذا كان المعتدى دولة غير مسلمة ، أما إذا كانت دولة مسلمة فينبغي السعي من أجل وقف العدوان بالطرق السلمية ، وتبحير الدولة المعتدية بما تقترفه من ظلم وبغي في عدوانها ، ومن ثم مناصرة الدولة المعتدى عليها بموجب الاتفاق المشار إليه .

---

[1] . المرجع السابق .

– ألا تكون الدولة طالبة العون والمساندة دولة معتدية بل ترد العدوان ، ويجب التحري في مثل هذه المسائل انطلاقاً من تشابك التطـورات وتداخلهـا ، وتفنن كـل طـرف في الإتيان بالحجج والبراهين التي تبرئ ذمتـه ، وتلقى باللائمة علي الآخر .

إلا أنه يجوز للجيش المسلم القيام بنصرة غير المسلمين دون أن يكون هناك اتفاق أو معاهدة شريطة أن يكون في الحرب منفعة محققة وصلاح أكيد لأمر من أمور المسلمين ، كأن يكـون الدولـة المعتديـة هـي عـدو مـشترك وفي كـسر شـوكتها مـصلحة للمـسلمين واتقـاءً لـشرها المحتمل .

وتثار في نصرة غير المسلمين بعض التساؤلات : مثلاً : هل في نصرة غير المسلمين إضـعاف لجيش الإسلام وإهدار لموارد بشرية ومادية ؟ أم أن فيه منفعـة تتمثـل في اكتـساب الخـبرة والتدريب وإرهاب عدو الله وعدو المسلمين بإظهار القوة والمكنة ؟ .

مناقشة هاتين الـوجهتين تـستوجب مناقـشة أخـرى لحزمـة مـن الـضوابط تحكـم تغليـب إحداهما علي الأخرى ، أول هذه الضوابط يتمثل في الظروف الاقتصادية والمادية الـتي تمـر بها الدول الإسـلامية ، وما تشكله كلفة تسليح الجيوش وإعدادها من أعباء علي كاهل تلك الدول ، ثاني هذه الضوابط يتجسد في الظروف الدولية التي تؤثر إلي حد بعيد في سلوكات وتصرفات الدول في المجتمـع الـدولي وتحكـم حركتهـا ، ثالـث هـذه الـضوابط يتحـدد في ظروف الصراع الذي يُستدعى الجيش الإسلامي للمشاركة فيه ، رابع هذه الـضوابط يـتعين في ضرورة الالتزام بأحكام الشرع الإسلامي الذي تؤسـس عليـه تـصرفات وسـلوكات الـدول الإسلامية في العلاقات الدولية .

المبحث الثاني

الجيش عنصر من عناصر الحضارة الإسلامية

ذكرنا سلفاً أن الحضارة تعني بأدوات التعامل مع عناصر الوجود وموجودات الكون ، ولكل حضارة مقوماتها وعناصرها ، وتتباين الحضارات من حيث طبيعة المقومات والعناصر ، وتتوزع مقومات الحضارات علي شقين : الأول الشق الروحي الأخلاقي ، والثاني الشق المادي ، فمن الحضارات ما يركز علي الشق الروحي الأخلاقي ، ومنها ما يركز علي الشق المادي ، ومنها ما يجمع بين الشقين .

ولقد جمعت الحضارة الإسلامية في براعة واقتدار بين الشقين الروحي الأخلاقي والمادي ، وجعلت من المقومات ما هو روحي أخلاقي بشكل خالص ، ولم تجعل مقومات مادية صرفة. بل طعّمت كافة المقومات المادية بالوازع الروحي الأخلاقي ، وكان تركيز الحضارة الإسلامية علي المقوم الأخلاقي الروحي ، والدفع به إلي مقدمة مقوماتها ، متمثلاً في نشر الإسلام والدعوة إليه ، وعقب ذلك جاءت المقومات الأخرى مقرونة بالوازع الروحي الأخلاقي . وكان تأسيس الجيش هو أحد مقومات الحضارة الإسلامية المقرونة بالوازع الأخلاقي الروحي ، وسوف نتناول في هذه الجزئية الجيش كمقوم من مقومات الحضارة الإسلامية ، وذلك من خلال العناصر الآتية :

أولاً : الجيش أداة من أدوات التعامل مع عناصر الوجود :

الجيش كمثله من عناصر ومقومات الحضارة ، يعد أداة من أدوات التعامل مع عناصر الوجود وموجودات الكون ، فمنذ الشروع في تأسيسه ، لا تكف هذه المؤسسة ذات المواصفات الخاصة عن التعاطي والتفاعل مع عناصر الوجود البشرية والمادية ، حتى تتمكن من تحقيق أهداف وجودها ، وسنزيد الإجمال إيضاحاً وتفصيلاً فيما يلي :

❖ الجيش يتعامل مع إرادة البشر :

التأمل في صلب وقوام عمل الجيش منذ تأسيسه وحتى إنهائه لمهامه التي قام من أجلها ، يوصل إلي حقيقة مؤداها أن تلك المؤسسة تتعامل مع إرادة البشر الوجلة المضطربة ، ثم المشبوبة الجامحة المندفعة ، ثم المتعارضة المتصارعة المتصادمة ، ثم المنتشية بالنصر والظفر في جانب ، المنكسرة المزقة من الهزيمة والقمع في جانب آخر ، الجيش إذن هو ذلك التنظيم المؤسسي الذي يعمد إلي تطويع وتحوير الإرادات البشرية ، من أجل تغليب إرادة علي أخرى بالطرق القسرية الجبرية ، ويتم ذلك التطويع ثم التغليب من خلال إجرائين كما هو تالي :

– تطويع إرادة أفراده من أجل قبول اللجوء إلي العنف ضد الآخر :

يتمثل الإجراء الأول الذي يقوم به الجيش علي الجانب الذاتي ، حيث يعمد إلي استنفار واستقطاب العنصر البشري ، ثم يمررهم بمرحلة إعداد وتهيئة مادية ومعنوية ، تجعلهم في حالة تحفز وجاهزية للتصادم مع إرادة الآخر وإجبارها علي الإذعان والرضوخ ، ويمكن تحليل هذا الإجراء إلي التدابير والسلوكات التالية :

• الاستنفار والاستقطاب : ويعرف هذا التدبير بالتعبئة وفق المصطلحات العسكرية ، وهو تجميع الأفراد وفق قوانين وأنظمة معينة ، لكي ينخرطون في صفوف الجيش ويصبحون من أفراده .

• التدريب والتهيئة : ويهدف هذا التدبير إلي إعداد العنصر البشري لتحقيق الأهداف التي حددها النظام السياسي عن طريق الجيش ، وهذا التدبير له وجهان : وجه مادي ، وآخر معنوي ، وللوجه المعنوي في الإعداد أهمية لا تضاهى ، إذ يتوقف عليه نجاح العنصر البشري في تحقيق الهدف

عند هذا الحد وحسب هذا التدبير يكون قد تم تهيئة الجيش لقبول منطق اللجوء إلي العنف ضد الآخر لتحقيق الأهداف المرسومة ، وهنا تبدو الأهمية البالغة لإيمان الجـ ، بتلك الأهداف ، ومن ثم استماتتـــه في سبيل تحقيقها ، وهنا تبرز الدلالة لانتصار الجيش الإسلامي في كثير من المعارك التي خاضها لفتح البلاد التي دخلها الإسلام رغم قلة عدده وعدته ، في مقابل الجيوش التي واجهها ، إذ كان العامل المعنوي حاسماً في هذه المواجهات ، فلم يكن هناك هدف آخر إلا النصر أو الشهادة ، وكان ذلك هو أمضى سلاح ، وكانت الغاية النهائية نشر الإسلام وبث الدعوة إليه في كل البقاع .

• اللجوء إلي الصراع العضوي من أجل قهر إرادة الآخر :

بعد أن أصبح الجيش مؤهلاً مادياً ومعنوياً ، حيث قبل بمنطق اللجوء إلي العنف في سبيل قهر إرادة الآخر ، يأتي الإجراء الثاني متجسداً في دفع الجيش إلي خوض الصراع العضوي مع الآخر ، من أجل قهره وتطويع إرادته .

واللجوء إلي الصراع العضوي في العلاقات الدولية هو آخر قرار يتخذه القائد السياسي ، وأول قرار يتخذه القائد العسكري ، فالأول قد أنهى كافة محاولات التفاهم الودي ، واغلق كافة منافذ التواصل السلمي ، والثاني قد بدأ أول جولات الصراع العضوي والنزال العنيف بين الإرادات المتناطحة .

والآن اتضح كيف أن الجيش قد تعامل مع نوعين من الإرادات البشرية : الأولى : إرادة أفراده التي هيئها وطوعها لقبول منطق اللجوء إلي العنف في مواجهة الآخر ، والثانية : إرادة الآخر التي عمد منذ البداية إلي قهرها وإخضاعها .

- الجيش يتولى تحوير وتطويع عناصر الطبيعة :

الجيش وهو في سبيل تحقيق أهدافه يستنفد كل طاقاته من أجل تذليل وتسخير كافة عناصر الطبيعة التي تصادفه في البر وفي البحر وفي الجو ، فالمسخر المذلل من تلك العناصر يستثمره في أعماله ، والمتصلب الجافي يحاول تحويره وتطويعه ، وإذا أخفق يتلافاه ويتفادى الاصطدام به حتى لا يكون عائقاً ، فكم من عوامل طبيعية أجلّت قيام حروب ، وكم من عوامل أنزلت بالجيوش أقسى وأشد الهزائم ، وكم من عوامل حسمت معارك ، وحققت النصر لطرف علي آخر .

أن الجيش من أهم مقومات وعناصر الحضارة تعاملاً وتفاعلاً مع عناصر الوجود وموجودات الكون ، ولذلك فالجيش بوصفه هذا ينبغي أن يكون علي وفاق مع الطبيعة بكافة عناصرها ومفرداتها السهلة الميسرة والصعبة المعسرة .

ويصعب الجزم بأن التقنيات الحديثة المفرطة في التقدم والتطور قد حيدت عناصر الوجود ومفردات الطبيعة ، وأعفت الجيوش الحديثة من التعامل والتفاعل معها ، لكن ما حدث هو التقليل من عنفوان تلك العناصر وتسهيل مهمة الجيش في تفادى آثارها ، فمثلاً لا يمكن بحال لسلاح الجو أي الطيران أن يعمل بكفاءة مع رداءة الطقس وسوء الأحوال الجوية ، وربما في بعض الأحوال لا يمكن أن يعمل علي الإطلاق ، وعلي وتيرته سلاح الصواريخ الذي يعمل بالتوجيه المركزي ، أو حتى التوجيه الذاتي العالي التصويب والدقيق التهديف ، كما أن القوات البرية المكننة مهما بلغت تجهيزاتها لا يمكنها أن تعمل بكفاءة في الأجواء شديدة البرودة والأرض الجليدية .

ثانياً : الجيش أداة الحضارة للدفاع عن نفسها :

الحضارة لا تسلم من الأذى والتعدي من الحضارات الأخرى ، والصراع بين الحضارات أمر وارد ، بل قد يكون إحدى الحتميات ، وبصفة خاصة إذا سلمنا بأن جميع الحضارات ليست علي مستوى واحد من المثالية والنموذجية والتمسك بالقيم والالتزام بالمبادئ ، وهذا التفاوت والتباين في المستوى الذي يبلغه البعد القيمي الأخلاقي في الحضارات هو الذي يؤجج نيران الصراع فيما بينها ، فالحضارات المتواجدة والمتعايشة في أزمنة وحقب تاريخية واحدة ، لابد لها أن تتعامل وتتواصل مع بعضها ، وهذا التعامل والتواصل يتطور في منطلقات متتابعة يبدأ بالتعارف ، ثم التحاور الذي يعقبه إما تلاقي ، قد يتطور إلي عناق ، أو جدال يصعّد إلي تنافر، قد يتحول إلي تنافس ، يعقبه صراع ، قد ينتهي بالصدام العنوي .[1]

والجيش في هذه الحالة هو خط الدفاع الأخير عن الحضارة ، إذ يُلجأ إليه لحماية قيم الحضارة ومبادئها ، التي يخشى عليها من جراء ذلك السجال المتتابع المنطلقات ، ولكن العلاقات التي تنشأ بين الحضارات ، والتي تجنح ناحية البعد القيمي المعنوي ، لا تتطور سريعاً في اتجاه الصراع العنوي الذي تحسمه الجيوش ، وربما تظل بمثابة مواقف فكرية خلافية بين الحضارات ولا تتحول أبداً إلي صدام مسلح ، إلا أن السجالات والمطارحات الفكرية بين الحضارات لا تكتسب السخونة والحرارة إلا بفعل التصعيدات السياسية ، التي تنشأ من جراء السياسة وصنع الأحداث ، وترمي في المعتاد إلي تحقيق مآرب سياسية ، لا تدخل في منطق أو حساب الحضارات ، فالحضارات ليست بطبيعتها عدوانية ، أو نهمة للهجوم ومتعطشة للصراع ، حتى أن المادية منها الجامحة الراغبة في السيطرة والهيمنة تحوى بداخلها بنسب متفاوتة من القوة والتأثير بذور العقلانية والرشد ،

---

[1] . لتفصيل أكثر يمكن الرجوع إلي الجزء السابع من هذا المجلد ، الحضارة الإسلامية في المعترك .

التي تمثل الكوابح التي تحد من اندفاع الحضارة نحو الصراع والصدام ، وتجاهد من أجل تغيير المسار نحو الموادعة والوئام .

وعلي عكس ما تقدم فإن مظاهر الحضارة ومنجزاتها المادية أكثر مدعاة للصراع ، وأسرع في استدعاء الجيوش لحسم تلك الصراعات بالوسائل العنيفة ، فالأبعاد المادية في الحضارات بطبيعتها مثار تكالب وتزاحم ، تضعف أمام قوة الدفع الناجمة عن الرغبة في إحرازها وحيازتها كافة الكوابح والمثبطات ، المتولدة من بذور العقلانية والرشد ، والمنبعثة من محور القيم والمبادئ التي تحويها تلك الحضارات .

فالسجالات الفكرية بين الحضارات عادةً ما يُترك الانتصار فيها للعقل والمنطق ، لأن نتائجها من مكاسب أو خسائر لا تدرك بسرعة ، ولا تحسم بشكل قاطع وحاد ، فهناك قضايا فكرية مثار خلاف بين حضارات تظل معلقة لعشرات بل لمئات السنين ، لأن عنصر الحسم فيها هو الزمن ، والحاكم فيها قد يكون المجتمعات أو ربما الإنسانية جمعاء ، فتلك القضايا موضع الخلاف لابد أن تُضّمن تجارب بشرية وتوضع علي محك تجربة الواقع والعمل ، ثم يتم تقييم تلك التجارب وعندها يصدر الحكم .

إلا أن هذا السيناريو ليس هو دائماً النموذج أو المثال ، فقد تتعجل بعض الحضارات ، فتصدر هي حكماً متسرعاً لصلحتها في تلك الخلافات الفكرية ، مما يثير الحضارات الأخرى ، فيحتدم الصراع ويُلجأ إلي العنف لفضه .

إن الحضارات أشد خوفاً علي الإنجازات باعتبارها نتاجات مباشرة وأشكال ونماذج لها ، وإن كان هذا الحكم لا يجب أن يؤخذ علي إطلاقه ، فالحضارات ذات التوجهات المادية هي بالفعل أشد خوفاً وأكثر تحسساً علي الإنجازات والإفرازات الحضارية ، فهي نموذجها ومثالها، وهي كذلك رصيدها الباقي ، أما الحضارات ذات التوجهات الروحية

الأخلاقية ، فهي أكثر اهتماماً بالقيم والمبادئ وأشد تحسساً تجاهها ، فالأولى لا تجد غضاضةً في اللجوء إلي العنف إذا ما تعرضت إنجازاتها الحضارية لأية استفزازات ، في حين لا تتحمس بنفس الدرجة لفض أية خلافات فكرية بالطرق العنيفة ، أما الثانية فهي أشد تحسساً وأكثر استعداداً للجوء إلي القوة إذا تعرضت قيمها ومبادئها لأية إهانة ، في الوقت الذي يكون التحسس أضعف والاستعداد للجوء إلي العنف أقل ، إذا ما تعرضت إنجازاتها المادية الحضارية للمخاطر ، فهي تؤمن بأن الإنجازات المادية قابلة للتعويض ودائمة التولُّد ، أما القيم والمبادئ والأخلاق فإذا أهدرت فلن تقوم لها قائمة .

لقد تعددت الاستعانة بالجيوش للدفاع عن القيم وحمايتها في تاريخ الحضارة الإسلامية بشكل يفوق الدفاع عن الإنجازات المادية ، إلا أن الثابت أن الجيش بوصفه عنصر من عناصر تلك الحضارة قد اعتُمد من قبل المرجعيات الشرعية أداة فعالة وحاسمة في الدفاع عن قيم الحضارة الإسلامية ومنجزاتها المادية .

ثالثاً : الجيش أداة من أدوات نشر القيم الإنسانية :

يعد الجيش الإسلامي في عهد الرسول الكريم والخلفاء الراشدين وبنى أمية ، هو الوحيد في التاريخ الإنساني المدوّن الذي قام بنشر الرسالة السماوية ، وبالرغم من ذلك فإن الحقيقة التي لا ينكرها إلا جاحداً لم يستوعب جوهر وروح الدعوة الإسلامية ، ولم يتعمق في التاريخ الإسلامي بشكل كافي ، هي أن الجيش الإسلامي لم ينشر الإسلام بإجبار الناس علي الدخول فيه ، بل بإتاحة فرصة الاختيار أمامهم ، دون إلزام من الحكام والسادة والمتنفذين ، أو ضغوط من الفاتحين أصحاب الدين ، ومما لا شك فيه أن هذه المسألة ذات الشجون تحتاج إلي إيضاح .

ولعل أول وأهم ما ينبغي التركيز عليه والتنبيه إليه هو ضرورة الفصل والتمييز الواضح بين تأسيس الجيش الإسلامي ، وتحديد مهامه في بداية الدعوة ونشأة الدولة ، حيث ألقيت علي الجيش مهام حمل الدعوة وتوصيلها ، وارتبط بذلك تحديد موقع الحرب في علاقات الدولة الإسلامية الناشئة بالعالم الخارجي ، وبين دور الجيش والحرب بالتالي بعد انتشار الإسلام وتثبيت أركان الدولة ، ولهذا الفصل والتمييز أهميته القصوى ، حيث يمكن أن يساهم في حسم الجدل الذي ثار بين دور الجيش ومن ثم الحرب وموقعهما في العلاقات بين الدولة الإسلامية والعالم .

إن وضع الجيش ومن ثم الحرب في موقعهما الصحيح في سياق التطور التاريخي لنشأة الدولة الإسلامية ، وبداية الدعوة والظروف المحلية والإقليمية والعالمية السائدة في تلك الفترة ، كفيل بأن يزيل اللبس حول فكرة الحرب في الإسلام ، ويرس أركان تلك الفكرة ، ويفصح عنها في جلاء كما أرادها الحق سبحانه ، وعمل من أجلها المسلمون .

وسوف نركز اهتمامنا في هذه الجزئية علي عملية تأسيس الجيش الإسلامي ، وتحديد مهامه في بداية الدعوة ونشأة الدولة ، ونضع هذه العملية في سياقها التاريخي وتفاعلاتها مع الظروف والتطورات السائدة في تلك الفترة علي كافة المستويات المحلية والإقليمية والعالمية ، أما دور الجيش ومن ثم الحرب بعد انتشار الإسلام وتثبيت أركان الدولة فسوف نرجئ الحديث عنه إلي جزئية لاحقة .[1]

إن تأسيس الجيش كمؤسسة ذات خصوصية ، والحرب كوضعية استثنائية في حياة الشعوب والمجتمعات ، ينبغي أن ينظر إليها في الإسلام نظرتين مختلفتين : النظرة الأولى : عند نشأة الدولة الإسلامية وبداية الدعوة إلي دين الله ، والنظرة الثانية : بعد انتشار

[1] فيما يتعلق بمشروعية الحرب بعد انتشار الإسلام وتثبيت أركان الدولة يمكن الرجوع إلي : المجلد التاسع ، الحرب في الإسلام ، الجزء الأول ، أصول الحرب في الإسلام ، البابين : الأول والثاني .

الإسلام واستقرار الدولة الإسلامية ، وتوجد بين النظرتين قواسم مشتركة عديدة ، ولكن الاختلافات ترد في الظرف التاريخي ووضعية الدولة الناشئة ورسالتها في نشر الدعوة وتثبيت أركان الدين ، ونوضح ذلك فيما يلي :

❖ **بواعث تأسيس الجيش في الدولة الإسلامية :**

فور هجرته صلي الله عليه وسلم شرع الرسول الكريم في تأسيس الدولة البسيطة الدقيقة في عناصرها المادية ، المحكمة في ترتيباتها السياسية والإدارية ، والتواضعة في مقدراتها الاقتصادية ، الفعّالة في تشكيلاتها الاجتماعية ، القوية الجبارة في مكناتها وطاقاتها العقيدية ، وكان لهذه الدولة [المدينة] بالرغم من محدوديتها الجغرافية والبشرية شأن النموذج والمثال ، الذي يمكن أن يستعمل أداة فعالة للتحليل والقياس في كل زمان ومكان :

– العناصر المادية لدولة المدينة الإسلامية : الدولة الإسلامية الوليدة الناشئة امتلكت العناصر المادية للدولة بشكل دقيق ، ولكنه محكم وموزون :

• فإقليم الدولة لم يتجاوز جزءً من مدينة يثرب ، أو بالأحرى حي الأنصار قبل المؤاخاة بين الأوس والخزرج ، أما بقية يثرب فهي لليهود المتأصلين فيها .

• وشعب الدولة الإسلامية الأولى جمع أنصار الرسول من المدينة والمهاجرين معه من مكة ، حيث عمد صلى الله عليه وسلم منذ ولوجه طيبة إلي المؤاخاة بينهم ، فصار بعضهم أولياء بعض أخوة متحابين أكثر تراحماً وتعانقاً من الأشقاء ، فهم أبناء الإسلام .

• والحكومة علي رأسها القائد المعلم المشرع الثاني بعد المشرع الإلهي ، حيث وضع أساس أول منهاج إسلامي في التاريخ [النظام السياسي] ، وسنأتي عليه بعد قليل

، العقيدة والرسالة ، فقد ظلل كل ما تقدم من عناصر مادية هالة من النور الإيماني الصادق غمر تلك الماديات ، ومزجها بجو مفعم بالأخلاقيات والقيم أساسها عقيدة التوحيد وقوامها الإسلام الحنيف .

– المنهاج الإسلامي والنموذج الإداري : صاغ الرسول الكريم في شفافية وبساطة المنهاج الإسلامي ، أو بلغتنا العصرية النظام السياسي وقرنه بالنموذج الإداري :

، تحددت أهداف الدولة الإسلامية في : الدعوة إلي دين الله ، وتطبيق شرعه الحنيف ، وإعمار الأرض ، وتصريف شئون الناس ومعالجة أمورهم .

، أما المنهاج الإسلامي [النظام السياسي] ، فقد شمل قائد الدولة السياسي والمشرع الثاني بعد الحق تبارك وتعالى ، والمجلس الشورى الذي تكون من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ، والذي أتخذ من المسجد دار الحكم ومقر المجلس الاستشاري أو الشورى ، ثم الحكومة التي اختارها الرسول الكريم بمشاورة الصحابة من أمهر القياديين التنفيذيين من المهاجرين والأنصار .

، وكانت أدوات التنفيذ لهذا المنهاج العظيم هي نسق القيم الذي جاء من عند الله ، وأقره الرسول الكريم وأوضح معانيه وفسر مضامينه ومغازيه ، فكانت هناك الشورى والعدالة والمساواة والحرية والإخاء .. الخ .

وألحق بهذا المنهاج نموذج إداري بسيط ولكنه كفء ، حيث تولى تصريف شئون الناس الذين يمثلون شعب هذه الدولة المدينة ، كوكبة من الصحابة بدأوا عملهم الإداري بتعليم الناس أمور دينهم ، ومن هنا اكتسب النموذج الإداري الإسلامي أولى خصائصه التي ظلت تصاحبه حتى الآن ، وهي الخصّة العقيدية للنظام أو الجهاز الإداري الإسلامي . فالنظام الإداري الإسلامي هو الوحيد في العالم الذي يجعل من الدعوة العقيدية أول مهامه وتبعاته .

– الاقتصاد البسيط القائم علي القناعة والإيثار : حيث أعتمد هذا الاقتصاد منذ نشأته في ظل دولة الرسول علي ما في يد الأنصار من ثروة تقاسموها مع المهاجرين ، الذين تركوا أموالهم في مكة ، ثم نما هذا الاقتصاد المحدود في ظل قيم اقتصادية أساسها القناعة والإيثار والرغبة الصادقة في العمل والإنتاج والتكافل الاجتماعي واحترام ملكية الغير ، وكان ذلك نواة لاقتصاد الدولة الإسلامية التي صنعت الأحداث في العالم خلال العصور الوسطى .

– النظام الاجتماعي القائم علي الإخاء والتكافل : بحكمته تمكن الرسول الكريم من تشكيل النظام الاجتماعي لدولة المدينة معتمداً علي قيمة الإخاء التي خففت من شعور المهاجرين بالأسي والمرارة لتركهم أموالهم وأهليهم في مكة ، وصادفت لدى الأنصار أريحية وإيثاراً من النادر وجودهما ، والتئم المجتمع في وحدة متماسكة مكنته من مواجهة المهمة العظيمة التي تصدى لها في براعة واقتدار ، وهي نشر الدعوة الإسلامية .

هذه الدولة بعناصرها التي أوضحناها ليست دولة ساكنة ولدت لتوجد فحسب ، ولكنها دولة ذات مهمة إنسانية ورسالة عالمية خالدة مكلفة بأوامر إلهية تقضي بأداء تلك المهمة وتوصيل تلك الرسالة إلي العالمين ، وشرع الرسول الكريم ينطلق في دعوته من دولة المدينة إلي القبائل والقرى العربية المجاورة وعلي رأسها مكة المكرمة ، وكان الرسول في بداية الأمر علي رأس الأركب المخصصة للدعوة ، وفي مرحلة تالية أخذ يسيّر البعثات تحت إمرة الصحابة .

وكان من المنطقي عندما يتقدم الرسول الكريم الركب أن يكون هو والصحابة المرافقون له آخذين حذرهم محتطبين أسلحتهم ، فقد لا يسلمون من تحرش القبائل بهم ، ومن هذه النقطة الموضوعية واللحظة التاريخية كان التفكير المبدئي في تأسيس الجيش ، حيث بُدأ في تطوير تسليح هذه الأركب والبعثات بالعدد والعتاد والخيل أو الإبل لحماية الدعاة عند

الضرورة ، وهكذا بدأ الجيش الإسلامي كمؤسسة ذات خصوصية ، ولكنها في كنف الدولة الداعية بكافة عناصر وجودها وفي مقدمة تلك العناصر شعبها .

لقد بدأ الجيش الإسلامي بسيطاً في تكوينه متواضعاً في تسليحه ، بل إنه كان يعتمد علي المشاة أكثر من اعتماده على الركبان ، نظراً لعدم وجود ركائب ، وكان الفارس يردف الآخر . أو يتناوب الفرسان الركوب ، وكان الهدف الأساسي من هذا الجيش هو توقي تحرش القبائل العربية التي توجه إليها بعثات الدعوة الإسلامية ، فمعظم تلك القبائل كانت تتصف بقوة المراس والميل إلي العدوانية ، وجلها كان وثنياً لم يعهد الحديث عن التوحيد ، ومن ثم فإن هذه القبائل لم تكن تكتفي برفض الدعوة فقط ، بل كانت تسارع باللجوء إلي القوة والعنف في مواجهة الدعاة .

لقد بات واضحاً أن الدولة الإسلامية الناشئة ينقصها عنصر القوة المادية ، الذي يحمى هذه الدولة ضد التدخلات والاعتداءات الخارجية ، وقد كان الجميع يعلم يقيناً أن أي اهتزاز في أركان وعناصر هذه الدولة ، سيؤدي إلي القضاء علي الدين الجديد وهو في المهد ، ومن ثم كان التفكير الجدي في تطوير الجيش الإسلامي ، الذي ظل يعاني من قلة الإمكانات إلي أن تم فتح مكة ، وعندئذ تيسرت إلي حد ما الإمكانات المادية والبشرية ، ولكن زادت مهمات الجيش وثقلت تبعاته .

اكتسب الجيش الإسلامي خبرة محدودة من خلال مواجهاته مع القبائل العربية ، ولم تكن تلك الخبرة كافية لمواجهة الجيوش ذات الاستعداد الخاص والقوة الفائقة علي غرار جيوش الفرس والروم ، التي كان علي جيش المسلمين أن يتأهب لملاقاتها بعد حين ، ولكن الجيش الإسلامي كان يملك ما هو أهم من القوة المادية وهو قوة الإيمان وصلابة العقيدة ، فلم يكن الجيش الإسلامي جيشاً من المحترفين ممتهني القتال ، بل كان قوامه صحابة الرسول الكريم وحفظة القرآن ورواة الحديث والراسخون في العلم ، وكان لهذا

التركيب البشري في جيش المسلمين تأثيره الذي سيتضح بعد قليل عند تحليل العلاقة بين الجيش والدعوة الإسلامية .

❖ العلاقة بين الجيش والدعوة :

من خلال ما بيّنا يثبت أن الجيش الإسلامي لم يكن أبداً وسيلة لاستخدام القوة أو العنف ضد الآخر ، بل كان دعماً للدولة الناشئة وحفظاً لها وللدين الذي تحتضنه وليداً ، وكان في ذات الوقت ذخراً للدعوة وآلية حملها ، ولكنه لم يكن طريقة أو أسلوب تبليغها :

– طبيعة العلاقة بين الدولة والدعوة : الدولة الإسلامية بكافة مكوناتها وعناصرها دولة داعية ، فهي تتولى بث الدعوة ونشرها في ربوع الأرض وتبليغها إلي الناس أجمعين ، وهي في ذات الوقت من خلال كل عنصر من عناصرها تقدم النموذج والمثال ، فهي تدعو بالتبليغ ثم تدعو كذلك بتقديم الأنموذج والمثال .

– الجيش يمثل أداة أو آلية حمل وتوصيل الدعوة : من المسائل التي ينبغي أن تُبيّن ويُكشف عليها الضوء هي أن الجيش الإسلامي كان أداة أو آلية لحمل وتوصيل الدعوة فقط ، وكان دوره يتوقف عند هذا الحد . فقوام الجيش — كما قدمنا — صحابة الرسول الكريم وحفظة القرآن ورواة الحديث والراسخون في العلم ، وهؤلاء في واقع الأمر هم الدعاة إلي الدين الجديد .

– التبليغ هو أسلوب أو طريقة الدعوة : الجيش كان هو الآلية التي حملت وأوصلت الدعوة من خلال عنصره البشري ، أما طريقة أو أسلوب نشر الدعوة بين الناس فكان يتم عن طريق التبليغ الذي يعنى الإحاطة أو الإخبار أو الإعلام أو الإشعار ، ويلي ذلك عملية التخيير بين الإسلام وقبول الدعوة أو عدم الإسلام ورفض الدعوة ، وكان لكلٍ ما اختار .

❖ **الجيش الإسلامي يواجه تحديات وتحرشات أكبر قوتين في ذلك الوقت [الفرس والروم] :**

بعد أن دخلت القبائل العربية إلي الإسلام ، وجدت الدولة الإسلامية نفسها في مواجهة مباشرة مع قوتين عاتيتين : قوة الفرس وقوة الروم ، وكان علي الجيش الإسلامي أن يتأهب لتلك المواجهة بالاستعداد المادي والمعنوي ، ولكنه بنفس المنطق الذي أعتمده الرسول الكريم وحدد فيه علاقة الجيش بالدعوة ، حيث حدد له دور " **أداة الحمل والتوصيل** " أما أسلوب وطريقة الدعوة فقد عيّنها في التبليغ والتخيير :

– وجّه الرسول الدعوة إلي رموز الدولتين سلماً :

منذ بدايتها والدعوة الإسلامية تعبر عن حضارة واعدة ، تحمل من القيم ما لم يعهده العالم، ولن يعهده إلا فيها ، تجلى ذلك في خطاب الدعوة ، حيث كان يتواءم شكلاً وموضوعاً مع المخاطب ، ويكفينا مطالعة رسالة الرسول العظيم إلي إمبراطور الفرس وكبير (هرقل) الروم ، ثم إذا أوغلنا وأجرينا تحليلاً لمضمون تلك الرسالة الواضح السلس ، الدقيق المحكم ، الكامل المعاني ، التام المضامين ، لتبين لنا أن الدعوة الإسلامية صاحبة الخطاب الحضاري وربة الحوار الفكري ، تخاطب في عزم ومضاء ، وتحاور في ثقة واقتدار ، فهي تملك ما تعطيه ، وثرية بما تسديه للعالمين إلي أبد الآبدين .

ولم يكن رد رموز الدولتين الكبيرتين علي مستوى الحدث ، بل جاء مفعماً بالتجبر والطغيان الذي فرضته القوة وأملاه الوضع الراهن آنذاك ، ولو أن القائدين لم يَدَعا الخطاب يمر عفواً دون تقص وتدقيق :

، فالفرس يجاورون العرب منذ زمن بعيد ، وتربطهم علاقات رسمية واجتماعية مع إمارة الحيرة ، أهم تجمع سياسي واجتماعي عربي يجاور الإمبراطورية الفارسية ، وحصيلة

علمهم من هذا الارتباط التاريخي والاجتماعي أن العرب لا قبل لهم بمواجهة الفرس ، فكيف إذن سيتم وضع هذا الخطاب بمحتواه الحضاري والديني في سياق هذا الجماع المتراكم من التاريخ والعلاقات الاجتماعية ؟ ! .

لم يكن الفرس وبالذات رؤوس الدولة علي علم دقيق وكاف بقبائل العرب التي تنتشر في الصحراء الممتدة إلي الغرب من إمارة الحيرة . فهي علي حد علمهم قبائل متفرقة أهم مراكزهم استقراراً وأشهرها ذيوعاً هي مكة ويثرب والطائف واليمن . ويعلمون كذلك أن تلك القبائل في معظمها قبائل وثنية ليس لديها معتقد ديني يخالف ذلك ، ومن ثم فقد كان انبعاث دين جديد من هذه المناطق يخالف ما هي عليه من معتقدات بالأمر المستغرب . كما لم يجد حماساً كافياً للرد عليه والاهتمام بأمره . إلا أنه في مرحلة لاحقة بات التفكير في الإسلام والمسلمين أمراً مفروضاً ، وأصبح تدبر أمر الدولة الناشئة لا مناص عنه . وبمنطق توازن القوى لم يكن ثمة تكافئ بين الدولة الناشئة والإمبراطورية العظمى ، التي شرعت تناوش دولة الإسلام الغضة .

. أما الروم ، فقد كانت علاقتهم بالعرب أكثر محدودية ، فلم يعمقوا علاقتهم بالقبائل العربية وحواضرها استعلاءً وتيهاً بوضعهم الحضاري المشهود ، وانخراطاً في شئون مستعمرات الإمبراطورية التي شملت سوريا ومصر والساحل الأفريقي حتى تونس التي كانت تعرف بأفريقيا الرومانية . إلا أن الرومان عرفوا عن العرب بعض ما عرفوه عن طريق أصدقائهم في إمارة الغساسنة ، وهي أول مركز عربي متقدم يجاور الإمبراطورية الرومانية ، ويمالؤها رغبةً في البقاء . مثلما كانت تفعل إمارة المناذرة مع الفرس . وكذا عن طريق قوافل التجار العرب التي كانت تتردد بين سوريا ومكة ، والتي زودت رؤوس الدولة بمعلومات وأخبار أكيدة عن الدين الجديد ، وظروف نشأته ، والمبشّر به ، وصفاته ، وأصله في العرب .

لقد وجد الخطاب الذي وجهه الرسول الكريم إلي هرقل الروم صدى قوياً وتأثيراً ملحوظاً، أكثر مما كان لدى إمبراطور الفرس ، فالأول صاحب ديانة ذات أصل سماوي وصاحب كتاب ، أما الثاني فلم يكن يعرف إلهاً بظهر الغيب ولا رسالةً سماويةً ولا كتاباً منزلاً ، فلم يكن يعرف إلا النار ، وهذه الوضعية خلقت خيطاً رفيعاً قد يكون غير مرئي ، ولا تحسه إلا خوالج النفس ، بين كبير الروم وبين ذلك الدين الجديد المبهم ، ولكنه ينم عن شيء ، وقد ظل هذا الخيط الرفيع يحكم العلاقة بين المسلمين والروم لفترة ، ويحول بينها وبين أن تتطور إلي كراهية وعداوة قاتلة .

و مهما يكن من أمر فإن القوتين الأكبر قد بلغتهما الدعوة الإسلامية من المبعوث رحمةً للعالمين . وقد أيقن المخاطبان أن لهذا الدين شأنه ولو بعد حين ، وإذا كانا قد انصرفا مؤقتاً عن حسم أمره ، فإنهما لم يهملا التفكير فيه والاستعداد لمواجهته .

❖ **الدعوة السلمية لم تكن مجدية وممكنة لأنها لا تصل إلي الشعوب :**

لقد بات واضحاً أن الدعوة إلي الإسلام بالطريق السلمي ليست ممكنة أو مجدية ، وسبب ذلك أنها لا تصل إلي الشعوب وهي المقصودة بالدعوة وهدف الخطاب ، في هذه الظروف التاريخية كان الجيش الإسلامي ينمو بشكل سريع ويزداد خبرة وتنظيماً ، من خلال المواجهات التي جرت بينه وبين سادة القبائل وكبرائها الذين كانوا يحولون دون وصول الدعوة إلي أفراد تلك القبائل .

كان المجتمع العربي قوامه القبيلة والعصبية ، وكان ترتيب السلطة والسيطرة في هذا المجتمع من الناحية السياسية والاجتماعية ترتيباً صارماً ، فزعماء القبائل يتحكمون في حياة الأفراد بشكل مطلق ، جعل الفرد لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، فكيف والحال كذلك أن تصل الدعوة الإسلامية إلي أفراد ذلك المجتمع ؟ .

أرسل الرسول الكريم البعثات إلي مختلف القبائل والأحياء العربية في كافة أنحاء شبه جزيرة العرب ، وكانت تلك البعثات تصطدم بزعماء القبائل الذين يحولون دون وصول الدعوة إلي أفراد المجتمع ، وكانوا يستعملون في سبيل ذلك أسلوبين :

- الأسلوب الأول : التصدي للدعوة الإسلامية بشكل مباشر من خلال الصراع العقوي ومنعها من الوصول إلي الأفراد .

- الأسلوب الثاني : إرهاب الأفراد وإجبارهم علي رفض الدعوة ، فلم يكن لفرد او حتى لجماعة داخل قبيلة أن تعلن قبولها الإسلام ديناً لها دون موافقة زعيم القبيلة ، الذي يعتبر أباً اجتماعياً وروحياً لأفرادها .

لم يكن أمام المسلمين بُدٌ من إزاحة هؤلاء الزعماء حتى تصل الدعوة إلي الأفراد ، وهنا برز دور الجيش الإسلامي الذي تمثلت مهمته في أمرين :

- الأمر الأول : إزاحة زعماء القبائل حتى تصل الدعوة إلي أفراد تلك القبائل ، فكان لابد من مواجهة هؤلاء ، وتخييرهم أولاً بين الإسلام أو إفساح الطريق أمام وصول الدعوة إلي الناس عامة ، فإذا أسلموا تبعهم في ذلك أفراد قبائلهم ، وإذا رفضوا الإسلام طُلب منهم أن يخلّوا بين الدعوة والوصول إلي الناس ، فإذا رفضوا لم يكن هناك بد من قتالهم ، فكان القتال هو آخر ما يلجأ إليه المسلمون بعد استنفاد كافة السبل ، من أجل توصيل الدعوة إلي أفراد ذلك المجتمع بتركيبته المبينة .

- الأمر الثاني : حمل الدعوة إلي أفراد المجتمعات العربية ، حيث ينتهي دور الجيش بوصول الدعوة إلي تلك المجتمعات ، ومن ثم يبدأ أسلوب أو طريقة نشر الدعوة . وهي بالتبليغ القائم علي الإحاطة والإعلام والإخبار ، ثم التخيير بين الإسلام أو سواه .

هكذا كان دأب الدعوة الإسلامية وديدن المسلمين الأوائل ودور الجيش الإسلامي الذي كان يمثل خط الدفاع الأول وخط الهجوم الأخير عن الدعوة الإسلامية ، وهنا توهم بعض الجهلة ممن تصدوا للتاريخ الإسلامي بسطحية وضحالة ، أن الإسلام كان دين السيف والهجوم والجبر . دون أن يلموا بطبيعة ذلك المجتمع المعقدة المركبة ، ودون أن يدققوا ويمحصوا عملية انتشار الدعوة الإسلامية في المجتمعات والقبائل العربية ، ودون أن ينقبوا عن دور الجيش الإسلامي في تلك الفتوحات الدعوية بحيدة وموضوعية ، لقد استسهلوا الحكم السريع السطحي ، وملّوا البحث المستفيض ، فكانت أحكامهم طائشة ، واستنتاجاتهم خائبة ، واخذوا الأمور علي عواهنها ، فلم يكونوا في منزلة الباحثين الثقاة والدارسين المجتهدين ! ! .

❖ دور الجيش الإسلامي في دعوة شعوب القوتين الأكبر :

أيقن المسلمون أن الدعوة السلمية لم تكن ذات جدوى ، ولن تحقق المقصد والغاية ، من رسالة الإسلام المرتكزة علي عالمية التبليغ ، وعمومية الإحاطة والإخبار ، وشمولية الإعلام والإشعار ، وكان اللجوء الاضطراري إلي الجيش خط الدفاع الأول عن الدعوة وخط هجومها الأخير ، وتحدد للجيش دوره الذي رسمه الرسول الكريم وعلي رسمه سار خلفاؤه الراشدون ، وجاء ذلك الدور في منطلقات متتابعة ومتدرجة علي النحو التالي :

– التقاء الجيش بالجيش [سبق المسلمين إلي الفضائل] :

قبل أن تشرع الدولة الإسلامية في منازلة القوتين الأكبر [الفرس والروم] كانت قد جهزّت جيشاً اكتسب قدراً لا بأس به من الخبرة والدربة ، وحاز قسطاً يعتد به من العدد والعتاد ، ولكنه كان أقل من جيش الفرس أو الروم .

وصاغ المسلمون من خلال صراعهم العضوي مع دولتي الفرس والروم أول المواثيق في تاريخ البشرية الخاصة بتنظيم الحروب ، وتقنين سيرها ، وتقعيد آثارها وإفرازاتها ، وتجسدت أولى تلك التنظيمات وأهمها في أن الجيش لا يلتقي إلا الجيش ، فالمعركة والقتال ليست إلا معركة جيوش ، ولم تكن أبداً معركة شعوب ، ولا تحسم إلا في الميدان وبين المقاتلين .[1]

– هدف القتال هو إزاحة الحكام والسادة [الهدف الوسيط] :

لم يكن للمسلمين أي مأرب دنيوي أو مطمح شخصي من الحروب ، بل كان الهدف النهائي هو حمل وتوصيل الدعوة إلي دين الله ، وكان هذا الهدف النهائي يتطلب وجود هدف آخر وسيط يتمثل في إزاحة الحكام والسادة ، الذين يحجبون الدعوة ويمنعونها عن الوصول إلي الشعوب ، والذين طالما قهروا تلك الشعوب واستعبدوها ، فكانت الدعوة سبيلاً للتحرر من نير الاستعباد والإيمان برب العباد .

– الشعوب ليست مقصودة بالقتال [الفعل القويم] :

يتم ما تقدم ويترتب عليه أن الشعوب لم تكن مقصودة أو مستهدفة بالقتال ، بل كان المقصد هو تحريرها ، لذلك لم يحدث أن قصد الجيش الإسلامي قتال شعب من الشعوب أو أساء إليه .

– حمل الدعوة وتوصيلها إلي الشعوب [الهدف النهائي] :

في نهاية المطاف وبعد أن يتمكن الجيش الإسلامي من قهر الجيش المقابل ، ويقدر له إزاحة الحكام والسادة ، تكون مهمته قد اختتمت بتوصيل الدعوة الإسلامية إلي الشعوب ، وتبدأ عملية التبليغ بالإحاطة والإخبار ثم التخيير ، ويترك الأمر للشعوب كي تقرر

[1] . في تفاصيل تنظيم وتقنين الحرب في الإسلام يمكن الرجوع إلي : المجلد التاسع ، الحرب في الإسلام ، الجزء الأول : أصول الحرب في الإسلام .

مصيرها ومستقبلها ، هكذا حمل الجيش الإسلامي القيم والفضائل ، التي بدأها باحترام العهد والميثاق وآدمية الإنسان ، واختتمها بالحرية في اختيار المعتقد ، ولم يحمل السيف ، ويعتاد الهجوم، ويألف الجبر ، كما زعم المرجفون ! .

رابعاً : مفردات الجيش من فنون الحضارة :

لا تزال علاقة الجيش بالحضارة ممتدة ، فهو — كما ذكرنا - أحد أهم مقوماتها وعناصرها، وتبدو في هذه الجزئية علاقة جديدة من علاقات الجيش بالحضارة ، مفاد هذه العلاقة أن مفردات الجيش جميعها من فنون وضروب الحضارة ، فالجيش بتنظيمه وتدريبه وتسليحه وإمداده بمستلزماته وخوض المعارك كل ذلك من فنون الحضارة ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

❖ **تنظيم الجيش :**

الجيش تنظيم مكون من أحياء فهو كائن حي ، يولد وينمو ويصل إلي عنفوان قوته ، ويتفاعل مع عناصر الوجود وموجودات الكون في سكونه وحركاته ، وينتابه الضعف والوهن وتتضعضع قوته وربما يتفكك ويتلاشى ، كل هذه الأطوار والأغيار التي تنتاب الجيش تجعل من تنظيمه وترتيب مفرداته وتشكيل جزئياته فن حضاري يسجل للأمم والشعوب :

– الاستنفار والتعبئة : لعل أول لبنات تنظيم الجيش هو استدعاء العنصر البشري ، الذي يمثل قوامه ومادته ، وعمليات الاستنفار والتعبئة تختلف إجراءاتها وترتيباتها وقوانينها من مجتمع لآخر ، فثمة مجتمعات تفرض الانخراط في الجيش فرض عين لا مناص عنه ، وثمة مجتمعات تجعل من الخدمة في الجيش أمراً متروكاً للرغبة الشخصية والإرادة الذاتية

، وثمة مجتمعات تترك أمر الانخراط في الجيش للظروف والتطورات ، بل وتجعل لكل ظرف خصوصيته .

ولقد عمد الطرح الإسلامي إلي معالجة هذا الأمر بحكمة ورشد ، فالانخراط في الجيش من حيث المبدأ يعد فرض كفاية ، فكل فرد يعطى بقدر طاقته الجسمانية العضلية أو الذهنية العقلية أو المادية الاقتصادية ، كذلك فيكفي أن تتفرغ جماعة من الأمة للقيام بمهام الجيش، وينصرف الآخرون للضرب في الأرض ، وإعمار المجتمع وإنمائه ، حتى لا تهمل شئون البلاد، ويُفرِط أبناء الأمة في الاهتمام بأمر ويفرّطون في بقية الأمور ، ثم أنه وفق منطق شريعة الإسلام لابد أن تتكاتف أمور المجتمع ، فالإنماء مهم للجيش ويمده بكافة متطلباته ، وقوة الاقتصاد والإدارة والنظام العام أهم دعائم الجيش ومحفزاته علي الظفر والغلبة ، وفي ذات الوقت تكفل للمجتمع استمرار الحياة الطبيعية وفق منهج الله .

– تقسيم الجيش : يقسم الجيش في المعتاد إلي تقسيمات عديدة تستند علي معايير مختلفة ، وتتدرج التقسيمات من الأكبر فالأصغر ، حتى تسهل السيطرة علي التحركات وتزداد الفعالية . ويقسم الجيش إلي أجزاء ، تبدأ من الجيش الفرعي : الأول أو الثاني أو الثالث ..الخ ، ثم ينقسم الجيش الفرعي إلي وحدات ، وتنقسم الوحدة إلي فرق ، وتنقسم الفرقة إلي ألوية ، وينقسم اللواء إلي كتائب ، وتنقسم الكتيبة إلي سرايا ، وتنقسم السرية إلي فصائل .

كذلك يقسم الجيش إلي عدة أقسام ميدانية حسب ميدان القتال ، فالقوات البرية التي تعمل علي الأرض ، والقوات الجوية التي تعمل في الجو مثل الطائرات والصواريخ ، والقوات البحرية التي تعمل في البحر ، وبعض العقائد القتالية تطلق علي هذا التقسيم "

تقسيم أسلحة " ، فهناك سلاح الجو وسلاح الصواريخ وسلاح المشاة وسلاح البحرية وهكذا .

– توزيع الجيش : يتم توزيع الجيش علي مناطق إقليم الدولة بشكل يتواءم مع طبيعة كل منطقة ، واحتمالات الخطر التي يمكن أن تتهددها ، ووفق الظروف والتطورات التي تمر بها الدولة فيما يتعلق بالاستقرار الداخلي ، وكذا علاقات الدولة بجيرانها أو بالآخرين ، وثمة أكثر من توزيع حسب معايير ومقاييس معينة ، نذكر منها ما يلي :

• التوزيع الاستراتيجي : حيث يتم توزيع الجيش علي المواقع والأقاليم المختلفة والثغور المتعددة التي تدخل ضمن إقليم الدولة .

• التوزيع التكتيكي – العملياتي : حيث يتم توزيع قوات الجيش المختلفة وقت الحرب ، وفقاً لوضعية الجيش ، إذا كان في ظروف الهجوم أو الدفاع أو الهجوم الدفاعي .. الخ .

❖ إدارة الجيش :

يحتاج الجيش إلي جهاز إداري شبيه إلي حد كبير بالجهاز الإداري في الدولة ، ويتولى هذا الجهاز كافة الأمور الخاصة بإدارة شئون الجيش ، وعليه تتوقف كفاءة عمل الجيش في الميدان ونجاحه في مهامه ، وتتمثل أهم مفردات إدارة الجيش في الآتي :

– الخدمات : يعتمد الجيش علي مجموعة من الخدمات التي تعاونه علي القيام بواجباته ، مثل الاتصالات والنقل والخدمات الطبية ، والخدمات الاجتماعية والنفسية والمعنوية . ويتولى الجهاز الإداري في الجيش توفير هذه الخدمات بشكل منظم وفعال .

– الإمداد والتموين : من أهم العوامل ذات التأثير في فعالية الجيش وكفاءة أدائه ، عمليات الإمداد والتموين أو ما يعرف باللوجستيك ، ويتوقف علي هذه العمليات نقل المؤن

والذخائر وتخزينها وتوزيعها علي الوحدات ثم علي الأفراد ، ولعل تأمين هذه العمليات يعد من أهم العوامل تأثيراً في حركة الجيش وقدرته علي القتال بكفاءة .

- الشئون الإدارية : تتولى الشئون الإدارية في الجيش ترتيبات منح الإجازات والترقيات وإعداد الرواتب والمكافآت والمسائل المالية الأخرى .

❖ تدريب الجيش :

كان ولا يزال تدريب الجيوش من أهم وأخطر العمليات التي تؤثر في كفاءتها وقدرتها علي إحراز النصر في ميادين القتال ، ومع تطور الحروب وتعقد الأسلحة المستخدمة في إدارتها زادت أهمية التدريب وزاد تأثيره في أداء الجيوش الحديثة ، ونتناول بعض المسائل المتعلقة بالتدريب فيما يلي :

- الإعداد البدني : يبدأ التدريب في الجيش بإعداد الفرد بدنياً ، وتأهيله لممارسة الأعمال العنيفة ومقومات الصراع العضوي .

- الإعداد المعنوي : كذلك يتوازى مع الإعداد البدني إعداد الفرد معنوياً وتأهيله نفسياً ، بترسيخ إيمانه بالهدف من القتال والغاية التي يتوخى الجميع تحقيقها ، ويعتبر الإعداد المعنوي من أهم المحفزات علي كفاءة المقاتل وتفانيه في تأدية مهامه ، وكم من جيوش أحرزت النصر بفعل العامل المعنوي ، والتاريخ الإسلامي حافل بالأمثلة في هذا السياق ، وللإعداد المعنوي وسائله ومقوماته ، وبات الإعداد المعنوي أحد الحقول المهمة التي تدرس في الأكاديميات العسكرية .

- التدريب علي السلاح : يعقب تأهيل الفرد بدنياً ومعنوياً تدريبه علي السلاح الذي تخصص في حمله واستخدامه ، وكلما ارتفعت جدية التدريب كلما زادت كفاءة المقاتل في استخدام السلاح الذي بحوزته ، وتحتاج الأسلحة الحديثة التي تعتمد عليها الجيوش في

الحروب الراهنة إلي تدريبات ذهنية ومقدرات علمية متفوقة ، وتعتمد كفاءة السلاح علي القدرة علي تشغيله واستخدامه ، وتعرف الأسلحة والحروب الحديثة بالحروب الإلكترونية ، نظراً لما تحويه من تقنيات عالية المستوى .

– المناورة : المناورة هي اختبار لجدية التدريب وجاهزية الجيش واستعداد أفراده لخوض القتال، وهي بمثابة سيناريو أو تصور لمعركة وهمية تختبر فيها الأسلحة المختلفة ، وتنقسم المناورات إلي أقسام عديدة :

• فهناك المناورات التي تتم داخل الجيش ببعض الأسلحة مثل القوات البرية ، أو القوات الجوية أو القوات البحرية ، أو داخل تشكيلات من هذه القوات ، و قد تكون هذه المناورات روتينية .

• وهناك المناورات التي تتم علي مستوى الجيش بالكامل حيث تشارك فيها كافة القوات ، وتكون بمثابة تصور لحرب وهمية يخوضها الجيش بكافة أسلحته ، وقد تكون هذه المناورات دورية ، وقد تكون استثنائية في حالة الاستعداد لخوض حرب ، أو لاستعراض القوة .

• وهناك المناورات التي تتم بالتعاون بين الجيوش المختلفة المتحالفة أو الصديقة ، وهذه المناورات من الأهمية بمكان ، حيث تكتسب الجيوش خبرة واحتكاكاً ، وتستخدم في هذه المناورات غالباً الذخيرة الحية ، وهي بمثابة استعراض للقوة وتعد أحد أساليب الردع .

❖ تسليح الجيش :

تسليح الجيش هو من أهم نقاط التماس بين الجيش والحضارة ، فالأسلحة التي يستخدمها الجيش في أي عصر من العصور هي مؤشر مباشر لما وصلت إليه حضارات تلك العصور من تقدم صناعي وتقني ، وفي عصرنا الراهن أصبحت صناعة السلاح أكثر تطوراً ورقياً واحتواءً

للتقنيات رفيعة المستوى من الصناعات المدنية ، وتعمد كافة الجيوش في هذا الزمن إلي اقتناء الأسلحة الحديثة عالية التطور ، ومعلوم أن التفاوت في تقدم الأسلحة وتطورها بين الجيوش يقود إلي رجحان كفة ميزان القوة لصالحة الجيوش حديثة التسليح ، وثمة بعض المسائل والإشكاليات الخاصة بتسليح الجيش ، نمر عليها في عجالة فيما يلي :

– تطوير التسليح : يحتاج تسليح الجيوش إلي متابعة أرقى أنواع الأسلحة وأكثرها تقدماً ، وتعمد دول كثيرة إلي تزويد جيوشها بهذه الأنواع من الأسلحة ، ولكنها قد تصادف بعض المعوقات مثل ارتفاع ثمن تلك الأسلحة المتطورة بشكل باهظ قد يكون فوق طاقتها ، أو تنظر إليه علي أنه هدر في مواردها الاقتصادية ، إن كثيراً من الأسلحة المتطورة معقدة للغاية بما يصعب علي أفراد الدول المتخلفة علمياً وتقنياً التدرب عليها واستخدامها بكفاءة ، كما أن معظم الدول المصنعة للأسلحة المتطورة تحجب هذه النوعيات من الأسلحة ، وتقصر اقتناءها علي جيوشها وجيوش الدول الحليفة فقط ، ولا تعمد إلا إلي تسريب وبيع الأسلحة الأقل تقدماً ، ولو قدّر وباعت الدول المصنعة للأسلحة المتطورة لبعض الدول نوعيات من هذه الأسلحة ، فهي تحتفظ بالكثير من أسرار استخدامها وقطع الغيار الخاصة بها .

– تنويع مصادر التسليح :فيما بعد الحرب العالمية الثانية طغى انقسام العالم سياسياً وأيديولوجياً بين المعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة علي كافة شئون الحياة ، وقد طال ذلك الانقسام الجيوش وتسليحها ، فانقسمت جيوش العالم من حيث عقائدها القتالية وتسليحها بين الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية والولايات المتحدة والكتلة الغربية . وكان ذلك يسبب صعوبات بالغة لكثير من الجيوش ، إذ قيدت حرية الحركة ، وتحددت مصادر التسليح بشكل صارم في مصدر وحيد ، أما الاتحاد السوفياتي وكتلته ، أو الولايات المتحدة وكتلتها ، وكان لذلك

مخاطره ومآسيه ، إذ لا يمكن خوض حرب يُعتمد فيها علي مصدر وحيد للإمداد بالسلاح ، فقد تكون العواقب وخيمة إذا توقف ذلك المصدر أو تعثرت الإمدادات لسبب أو لآخر ، فالبديل في هذه الحالة غير مطروح .

إلا أنه منذ بداية العقد الأخير من القرن المنصرم لاحت في الأفق إنفراجات فيما يتعلق بواحدية مصدر تسليح الجيوش ، إذ أصبح من الممكن الاعتماد علي أكثر من مصدر لإمدادات السلاح ، ومرد ذلك إلي المرونة التي بدأت تتسم بها مواقف القوى الكبرى إزاء السماح بإمدادات السلاح ، فلم تعد تلك القوى تشترط أن تكون هي المصدر الوحيد ، وإلي التفكك الذي حدث داخل الكتلتين المتصارعتين ، حيث بات في مقدور دول أوربا الشرقية وأوربا الغربية تزويد الدول الأخرى بالسلاح دون رقابة صارمة من قبل الاتحاد السوفياتي أو الولايات المتحدة ، ولو أن الواقع يعلن أن دول أوربا الشرقية لديها الحرية المطلقة في هذا الخصوص ، لأنها انفلتت تماماً من ارتباطاتها القديمة مع الروس ، في حين أن دول أوربا الغربية لا يمكنها التصرف بنفس القدر من الحرية نظراً لارتباطاتها مع الولايات المتحدة في حلف الناتو، إضافةً إلي مواءمات أخرى ذات طبيعة استراتيجية وذلك باستثناء فرنسا .

وبالرغم من أن إمكانية تنويع مصادر السلاح أصبحت واردة ، إلا أن ثمة معضلات تكتنف هذه الإمكانية ، ومن ذلك أن الجيوش لا يمكنها من الناحية العملية أن تنجح في استخدام أسلحة متنوعة إلا في حدود ، يرتبط بما تقدم أن تصنيع السلاح يقوم علي قاعدة تقنية مهمة هي قاعدة المنظومات ، وهذه القاعدة تعني تصنيع مجموعة من الأسلحة بينها تعاون وتنسيق ومساندة ، بحيث أن غياب أي عنصر من هذه المجموعة يؤدى إلي خلل في الأداء وانخفاض في الكفاءة وربما توقف كامل . وهذا يفرض علي الجيش أن يقتني المجموعة المنظومة بالكامل ، ومن ثم تقل ولربما تنعدم فائدة إمكانية تنويع مصادر

التسليح ، مثال ذلك منظومات الدفاع الجوي ، ومنظومات الصواريخ ، ومنظومات الرادار والتوجيه ، ومنظومات الاستشعار والتجسس .. الخ .

إلا أنه يمكن تنويع مصادر أسلحة أخرى باستثناء المنظومات ، وكذلك وسائل النقل البري ووسائل الإمرار الجوي والقطع البحرية المختلفة ، ولو أن التناغم بين بعض المنظومات من مصادر مختلفة اصبح الآن ممكناً .

– توفير قطع الغيار : توفير قطع غيار الأسلحة من أهم الإشكاليات التي تواجه الجيوش ، وتبدو خطورة هذه الإشكالية وقت الحرب ، وينبغي علي المخطط الاستراتيجي أن يؤمن مصادر الإمداد بقطع الغيار بشكل أكيد ، وتلجأ بعض الدول إلي تصنيع تلك القطع محلياً بترخيص من دولة المصدر وباستيراد حق المعرفة .

– تامين الإمدادات وقت الحرب : تسعى الجيوش إلي تامين إمدادات الأسلحة والذخائر وقت الحرب ، وذلك يقتضي من الدول توقيع اتفاقيات خاصة بهذا الشأن ، وعادة ما تضّمن مثل هذه الاتفاقيات المعاهدات المنشئة للتحالفات العسكرية أو اتفاقيات الدفاع المشترك .

❖ التصنيع العسكري :

كما في التسليح يستفيد الجيش من جماع التقدم ونتاج التقنيات فيما يتعلق بالتصنيع العسكري، الذي يمثل مع توأمه المدني منذ الأزل أرقى أشكال الحضارة ونتاجاتها ، والتصنيع العسكري من أهم عوامل دعم الجيش وترسيخ قدرته وفعاليته ، والطرح الإسلامي في هذا الخصوص يحض علي توفير أكبر قدر ممكن من أسلحة الجيوش الإسلامية عن طريق تصنيعها محلياً لما لذلك من فائدة كبرى ، ولكن هذه الغاية لا تدرك إلا بشق الأنفس ، ولا يسعنا إلا أن نضع أيدينا علي بعض ما يعترض رغبة التصنيع العسكري من مشاق وصعاب :

– ماذا يعني التصنيع العسكري وما الفرق بينه وبين التصنيع الحربي ؟ :

التصنيع العسكري يعني إقامة صناعة تهتم بتصنيع كل مستلزمات الحياة العسكرية ، سواء أكان سلاحاً أو مصنوعات أخرى ترتبط به . ومن هذا التعريف يتضح أن ثمة فروقاً جوهرية بين التصنيع العسكري والتصنيع الحربي نوردها في :

• التصنيع العسكري أوسع وأكثر شمولاً . فهو يشمل كل ما يهم الحياة العسكرية ويرتبط بها، حتى ولو لم يدخل مباشرة في شئون الحرب ، في حين أن التصنيع الحربي يتعلق بمستلزمات الحرب . وما يستعمل في خوضها بشكل مباشر .

• التصنيع العسكري يحتاج إلي تخطيط طويل الأجل . واستراتيجية أكثر شمولاً وعمومية . مثل التخطيط لإقامة قاعدة صناعية مدنية . أما التصنيع الحربي فهو في المعتاد سياسة مؤقتة ترتبط بظروف الحرب سواء أكان استعداداً لها أو خوضها بشكل فعلي .

• التصنيع العسكري يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصناعة المدنية ، فهو يستفيد من صناعات أخرى عديدة ، كما يمكن تحويل بعض خطوط الإنتاج في التصنيع العسكري إلي الإنتاج المدني . أما بالنسبة إلي التصنيع الحربي فهو لا يحتاج إلي الصناعات المدنية إلا في أضيق نطاق حيث أن همه هو معدات الحرب بشكل مباشر .

– مستلزمات قيام صناعة عسكرية قوية :

وإذا انتقلنا إلي البحث في مرتكزات وأساسيات إقامة صناعة عسكرية قوية ، فيمكننا تحديد تلك المرتكزات في الآتي :

• تحتاج الصناعة العسكرية إلي بنية تحتية قوية . فإذا كانت البنية التحتية تمثل ضرورة ملحة بالنسبة إلي الصناعة المدنية بشكل عام فإن البنية التحتية بمفرداتها المترابطة مثل شبكات الطرق الممهدة والمرافق العامة من كهرباء ومياه واتصالات سلكية ولا

سلكية كل ذلك يعد أكثر لزومية وحيوية للصناعة العسكرية ، فذلك خير معين لتلك الصناعة علي التطور والازدهار .

• يضاف إلي ما تقدم أن الصناعة العسكرية تحتاج كذلك إلي قيام صناعة مدنية قوية وما يصاحبها من فكر صناعي ، وجدوى الصناعة المدنية أنها تخلق رجل أعمال ، أو رجل صناعة يمتلك عقلاً ناضجاً وفكراً واسعاً ، يؤمن بأهمية الصناعة المحلية ، ويقدر دورها في الاقتصاد الوطني ، ومن ثم فهو ينقل نفس هذه المواصفات إلي الصناعة العسكرية ، مما يؤهلها للنجاح والتفوق عكس مما لو أقيمت الصناعة العسكرية من فراغ وبدأت الدولة بها دون تبلور وتراكم معارف وأفكار عن الصناعة بشكل عام .

• تحتاج الصناعة العسكرية كذلك إلي صناعة معاونة ومساندة تفي بغرض الصناعة العسكرية من المنتجات الأساسية مثل الصلب والألمنيوم وبعض أنواع اللدائن والمنتجات الوسيطة مثل المحركات والهياكل والإطارات .

• العنصر البشري يمثل عاملاً أساسياً في تطوير الصناعة العسكرية ، والاستثمار في العنصر البشري من خلال التصنيع العسكري يمثل استثماراً أمثلاً ، ويحتاج العنصر البشري إلي عمليات تأهيل وتدريب تصل به إلي مرحلة الاكتفاء الذاتي وعدم الاعتماد علي العمالة المستوردة إلا فيما ندر .

• من مستلزمات الصناعة العسكرية بشكل أساسي توافر مراكز بحثية تتمثل مهمتها في البحث والتطوير المستمرين ، فهذه الصناعة تحتاج إلي بحث دائم عن افضل الأسلحة وأكثرها كفاءة وأقدرها علي المناورة ، كذلك فعمليات التطوير والتحوير للأسلحة التي تم تصنيعها وتجريبها واشتراكها في معارك أو مناورات هي عمليات مهمة وحيوية ، وتحتاج هذه المراكز البحثية إلي عناصر متميزة حتى يتسنى لها القيام بهذه المهمة .

• من أهم مرتكزات إقامة صناعة عسكرية قوية إنشاء جسور قوية للتعامل مع شركات عالمية شهيرة ومشهود لها بالكفاءة في مجال التصنيع العسكري ، ويمكن الحصول علي الخبرة من هذه الشركات ، وكذا ما يعرف بحق المعرفة وقد تبرز مشاكل عديدة فيما يتعلق بمسائل الحصول علي الخبرة وحق المعرفة ومن هذه المشاكل :

○ تَمنُّع كثير من الشركات في قبول تزويد الصناعة العسكرية في الدول الأخرى بالخبرة وحق المعرفة تحت دعوى الحفاظ علي الأسرار العسكرية .

○ بعض الشركات تطمع في بيع حق المعرفة بمقابل مادي مُبالغ فيه استغلالاً لظروف الدول الطالبة ورغبتها في تطوير صناعتها .

○ بعض الدول تخشى من نقل حق المعرفة انتشار عمليات تطوير وإحداث السلاح ، مما ينتج عنه إمداد الأطراف المتصارعة بالسلاح ، وإزكاء نيران الصراعات الإقليمية ، وفي هذا الصدد تطالب الدول الكبرى بقصر أسرار تقنيات الأسلحة الحساسة علي دول معينة دون غيرها .

• تحتاج صناعة السلاح إلي ميزانيات ضخمة ومخصصات هائلة للإنفاق علي برامج تصنيع السلاح ، فإذا لم تكن الدولة علي قدر يعتد به من الثراء المادي والاقتصاد القوى قد لا تفلح فيها صناعة السلاح في تحقيق أهدافها .

• صناعة السلاح ليست كمشروع اقتصادي تُنتظر أرباحه ومخولاته فور تشغيله ولكنها عملية ذات مردود متعدد المستويات :

○ فعلي المستوى السياسي تعفى صناعة السلاح الدولة من الاعتماد علي الغير والتبعية السياسية والتأثير علي استقلالية القرار السياسي .

O وعلي المستوى الاقتصادي تعفى الدولة من الاستيراد مع الاكتفاء ذاتياً علاوة علي تأسيس قاعدة صناعية .

O وعلي المستوى الأمني والعسكري تعتبر عملية التصنيع العسكري دعماً قوياً لاستراتيجية الأمن والدفاع عن الدول الإسلامية .

O وعلي المستوى الاجتماعي تعد عملية التصنيع العسكري إحدى ميكانيزمات الحفاظ علي المجتمع وحماية أمنه ومكتسباته .

- أهداف عملية التصنيع العسكري :

تتحدد أهداف عملية التصنيع العسكري في هدفين يمكن تناولهما في

• الهدف الأول : تسليح الجيش : يعتبر الهدف الأول والأساسي من وراء عملية التصنيع العسكري هو تسليح الجيش ، وثمة وجهان للعلاقة بين التصنيع العسكري وتسليح الجيش، ويمكن توضيح تلك العلاقة من خلال الآتي :

O القيام بدراسة مسحية متكاملة لكافة احتياجات الجيش من الأسلحة ثم ترتيب الأسلحة بدءاً من الأسهل والأبسط وانتهاءاً بالأسلحة الثقيلة المعقدة ، بعد ذلك يُشرع في ترتيبات إقامة المصانع لإنتاج أنواع الأسلحة الأبسط ثم يتم التطوير بإضافة نوعيات جديدة وهكذا .

O الشروع في عملية التصنيع حسبما يتم الاتفاق علي تصنيعه مع الشركات صاحبة الخبرة وحق المعرفة ، ثم يتم تزويد الجيش باحتياجاته من هذه الأسلحة ، والشروع في تصنيع نوعيات أخرى .

وتأخذ معظم التجارب بالمسلك الأول حيث يتم دراسة الاحتياجات ، ثم يُشرع في عملية التصنيع وفقاً لتلك الاحتياجات ، وثمة آراء تأخذ بالمزاوجة والتنسيق بين المسلكين ، ويُلاحظ أن التجارب التي تأخذ بالنهج الثاني هي التجارب التي تغلّب الطابع التجاري علي هدف التسليح الذاتي .

• الهدف الثاني : التصنيع من أجل البيع : كثير من شركات تصنيع السلاح تنغمس في صناعة السلاح بهدف التجارة ، ومن ثم فهذه الشركات تعمد إلي صناعة نوعيات الأسلحة التي تلاقي رواجاً في أسواق السلاح ، وكذا التي تدر ربحاً وفيراً .

– ميزات التصنيع العسكري :

يحقق التصنيع العسكري جملة من الميزات يمكن إجمال أهمها في الآتي :

• الإعفاء من الاعتماد علي مصادر أجنبية : مما لا شك فيه أن كل قطعة سلاح يتم تصنيعها محلياً تعفى دولتها من الاعتماد علي مصدر أجنبي في توفيرها ، وقد سبق لنا أن أوضحنا في موضع سابق كيف أن عمليات استيراد السلاح تؤدي في بعض الأحوال إلي الحد من استقلالية القرار السياسي .

• ميزة المكانة الدولية : عادة ما تأخذ الدولة المصنعة للسلاح مكانة مميزة بين الدول الصناعية، ومعلوم أن تصنيع السلاح هو أرقى من التصنيع العادي لتفرد الأول بمواصفات وتقنيات ذات طبيعة خاصة .

• التعاون وثيق بين قطاع الصناعات العسكرية وقطاع الصناعات المدنية ، وما من شك في أن كلا منهما يؤثر في الآخر ، فالقطاع العسكري قد يحصل علي كثير من احتياجاته كقطع الغيار والسلع نصف المصنعة من القطاع المدني ، والأخير بدوره يعتمد علي القطاع

العسكري في إمداده بالعديد من المنتجات . وقد لوحظ أن عملية التطوير المستمرة لقطاع الصناعات العسكرية تؤثر بالتالي على القطاع المدني بالتطوير والازدهار .

ـ يساهم قطاع الصناعات العسكرية بقسط لا بأس به في استيعاب عدد كبير من الأيدي العاملة ثم هو يتولى هذه العناصر بالرعاية والتدريب رفيع المستوى . مما يقود في النهاية إلي الارتقاء بمستوى الأيدي العاملة . وعليه فإن إحدى ميزات التصنيع العسكري تتمثل في الاستثمار في العنصر البشري .

ـ من ميزات التصنيع العسكري ما يترتب علي الصناعة العسكرية من تحقيق مردود اقتصادي نتيجة الاكتفاء الذاتي أو تحقيق مدخولات مادية نتيجة عمليات البيع .

❖ خوض المعارك : [إحالة]

خوض المعارك هو الحرب بشقيها : التخطيط العام أو ما يعرف بالاستراتيجية ، وتحركاتها العملياتية المدنية أو ما يعرف بالتكتيك ، مشروعيتها ، بدايتها ، التخطيط لها ، إدارتها ، ميادينها ، عملياتها ، تنظيمها ، توقفها المؤقت [الهدنة] ، الحياد ، التحالف ، محاولات التسوية ، نهاية الحرب ، معاهدة نهاية الحرب : الاستسلام بالهزيمة ، كل هذه الموضوعات سنتناولها في مصنف مستقل .[1]

فيما سلف استعرضنا مفردات الجيش وفعالياته والتفاعلات التي تتم بداخله وعلاقاته بالحياة العامة في المجتمع ، وما كل ذلك إلا من فنون الحضارة وضروبها . فالجيش إذن بالرغم من كونه أداة من أدوات إدارة الصراع العضوي بل لعله أهمها ، إلا أنه في ذات الوقت مظهر من مظاهر الحضارة وشكل من أشكالها ، وليس هناك تعارض بين كون الجيش أداة للصراع العضوي وكونه مظهرا من مظاهر الحضارة . فالجيش وفق الطرح

---

[1] يمكن الرجوع ... [illegible] الجزء الأول ، أصول الحرب في الإسلام

obeikandi.com

الإسلامي وحسب الأفكار الإنسانية القويمة هو أداة لرد العدوان وردعه وحماية الحضارة ، ولو أنتفى الظلم والجور والتعدي في الحياة لما كان هناك ما يدعو لتأسيس الجيوش ، فالخلاصة أن الجيش مظهر من مظاهر الحضارة وعنصر من عناصرها وأداة حمايتها .

خامساً : الجيش يطوّر الحضارة ويبنى المدنية :

حتى وسائل وأدوات الصراع العضوي تطولها الحضارة وتتفاعل معها فتأخذ منها وتعطيها ، تأخذ منها الحماية والحفظ ضد العدوان والتعدي وتعطيها التطور والترقي ، لا في سبيل التدمير والإفناء ، ولكن في سبيل الردع وعدم الإقدام علي المغامرة بمقدرات الأمم ، ولنرى سراعى كيف يطوّر الجيش الحضارة ويبنى المدنية ، وذلك من خلال :

❖ **تطوير الجيش لمفرداته تطوير للحضارة :**

كررنا آنفاً أن الجيش يعمد دوماً إلي تطوير مفرداته بما يكفل له ردع الآخرين ويضمن له الغلبة والظفر حال وقوع الصراع العضوي ، وهو في كلتا الحالتين يحافظ علي الحضارة ويطوّر أشكالها ومظاهرها وعناصرها .

وإذا كنا قد أفضنا في أساليب وطرائق الجيش من أجل تطوير وإحداث مفرداته ، فهنا يجب أن نضيف أن الهدف المزدوج الذي يرمى الجيش إلي إحرازه إنما ينبع من رغبة الحضارة وما يتكتل وراءها من مرتكزات نظمية وفكرية في الحفاظ علي الذات بكافة صفاتها وأشكالها والملك بجميع صوره ومحتوياته .

كذلك فإن الإرادة الجماعية في شكليها النظامي والاجتماعي ، تتفانى في رضا وعن قناعة في تجنيد المقدرات وتسخير الطاقات ، من أجل تمكين الجيش من تحقيق الهدف المزدوج سابق التبيان ، وهذا يعنى حرص تلك الإرادة علي دعم الحضارة من خلال أحد مقوماتها وهو الجيش .

❖ الجيش يبنى المدنية ويحميها :

الجيش في علاقته بالحضارة هو عنصر بناء وحماية ، يبنى المدنية وينشر العمران ويحافظ عليهما ضد أي تعدٍ أو اعتداء داخلي كان أم خارجي ، ولكن كيف يبنى الجيش المدنية وينشر العمران ؟ يمكن متابعة ذلك من خلال ما يلي :

– إقامة القلاع [القواعد الحربية] :

منذ القدم والجيش يعمل علي إقامة القلاع ، وهي عبارة عن أبنية منيعة ، تشيد في أماكن ومواقع استراتيجية معينة لحماية المدن المهمة ، وكانت هذه القلاع تقام وفق فنون معمارية خاصة تضمن لها القوة والمنعة ، وغالباً ما كانت تقام تلك القلاع في مواضع مختارة بدقة في الجبال أو التلال أو الهضاب ، حيث تتخذ كمراصد لمراقبة الأعداء واعتراضهم .

وفي الوقت الراهن يقوم بنفس الدور القواعد العسكرية : البرية والجوية والبحرية ، وهي عبارة عن تجمع لتشكيلات من الجيش في موضع معين ، يتم الانطلاق منها لمهاجمة العدو أو صد هجومه ، ولا يقتصر إقامة القواعد العسكرية في الوقت الراهن علي أراضي الدول صاحبة الجيوش فقط ، بل أصبح من المتعارف عليه أن تقام القواعد العسكرية علي أراضي دولة أخرى بموجب اتفاقيات خاصة أو معاهدة تحالف أو علاقات صداقة .

– إقامة الحصون [الخطوط والاستحكامات الدفاعية] :

وعلي غرار ما تقدم اهتمت الجيوش منذ تأسيسها بإقامة الحصون ، وهي مواضع منيعة علي حدود الدولة وفي ثغورها لصد الهجوم أو الانطلاق منها لمهاجمة الأعداء ، ولقد تطورت هذه الحصون في الوقت الراهن ، ولكنها احتفظت بنفس معناها الاصطلاحي

ومحتواها الاستراتيجي ومقصدها العملياتي [التكتيكي] ، لتأخذ أشكالاً ونماذج جديدة تتجسد في الخطوط والاستحكامات الدفاعية التي تقيمها الجيوش علي الحدود وفي الثغور .

– المعسكرات [المدن العسكرية] :

بمقاييس استراتيجية تتخير القيادات العسكرية في الجيش مواضع معينة لإقامة معسكرات لتجميع القوات وممارسة عمليات التدريب والإعداد والتخطيط . ويختلف المعسكر عن القاعدة العسكرية في أن الأخيرة نقطة أكثر جاهزية للانطلاق وإنجاز مهام محددة مخططة ومعلومة مسبقاً ، أما المعسكر فهو موضع لممارسة مهام أكثر اتساعاً وشمولاً ، مثل التدريب والتخطيط وتجميع القوات وتوزيعها ، ومن ثم فإن المعسكرات تعمد دوماً إلي إنشاء مرافق ومنشآت لها صفة الاستمرارية ، ومنذ عهود قديمة والمعسكرات تكون نواة لإقامة مدن شهيرة .

– شق الطرق وإقامة الجسور :

تستطيع الجيوش بما يتوافر لديها من عناصر قوة ومقدرات حركة بشرية ومادية من شق الطرق وتعبيدها وإقامة الجسور وتجهيزها ، حتى تتمكن من تأمين حرية الحركة وسرعة الانقضاض والقدرة علي المناورة ، وتلعب الطرق والجسور التي يقيمها الجيش دوراً مهماً فيما بعد في الحياة المدنية .

– إقامة معسكرات الإمداد والتموين علي الطرق [عمليات اللوجستيك] :

علي الطرق الطويلة تلجأ الجيوش إلي إقامة معسكرات تستعمل للإمداد والتموين ، وتضمن تأمين تلك الإمدادات للجيوش المتقدمة ، وقد تم تطوير هذه المعسكرات في الوقت الراهن ، وباتت تمثل الخلع الثالث في مثلث " **فن الحرب** " الذي يشمل أضلاع الاستراتيجية [التخطيط العام] ، والتكتيك [التخطيط العملياتي — الميداني] ، واللوجستيك [عمليات الإمداد والتموين] .

❖ وضع نواة التخطيط العمراني للمدن :

في جميع أنحاء العالم يوجد الكثير من المدن الشهيرة التي كانت معسكرات للجيش ، ولا يزال هذا الوضع مشاهداً في الواقع العملي ، ولكن بأسلوب أكثر تطوراً حيث تعمد الجيوش في كثير من الأحيان إلي تخطيط المدن ، ووضع أسسها العمرانية من تجهيزات أساسية ومرافق عامة ، وهي تهدف من وراء ذلك إلي تأهيل بعض المناطق بالسكان لبواعث استراتيجية ، والتفصيل فيما يلي :

– بناء الأساطيل الحربية :

الأساطيل الحربية معروفة منذ القدم وقامت تلك الأساطيل بحسم الكثير من المعارك ، وباتت الآن من العناصر التي لا تقل أهمية عن سلاح الجو وسلاح المشاة ، ولعلها الآن قوام الدعم اللوجستي للجيوش الحديثة ، وتضم الأساطيل الحربية قطعاً عديدة متنوعة الأغراض والمهام وعلي درجة عالية من التطور والضخامة والقوة ، فهناك حاملات الطائرات العملاقة والبوارج والمدمرات والفرقاطات والغواصات وسفن الإمداد والتموين .

– إقامة الموانئ البحرية :

تنشئ الجيوش موانئ بحرية كاملة خاصة بالأساطيل البحرية الحربية ، كما تنشئ مراسي للتزود بالوقود والمؤن ، إضافةً إلي أحواض بناء السفن والقطع الحربية ، وهذه الموانئ تمثل مدناً كاملة .